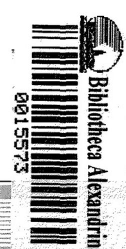
الأعلام من الأدباء والشعراء



وصاف الخيل في الجاهلية

سلامة بن جندل - طفيل الغنوي
أبو دؤاد الإيادي

تأليف
أحمد حسن بسج





بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء

وصاف الخيل في الجاهلية

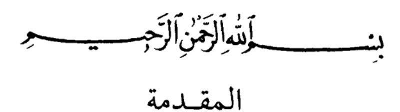
سلامة بن جندل - طفيل الغنوي
أبو دؤاد الإيادي

تأليف
أحمد حسن بسج

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٣٣
فاكس: ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠



المقـدمة

الحمد لله من قبل ومن بعد

إنَّ العصر الجاهلي، من الأهميّة بمكان، ما يدفعنا إلى البحث الدائم، والمستمر من أجل الكشف عمّا يحيط به من غموض لأنه كان، وما زال، بنظرنا مصدراً أساساً، لا يمكن لأحد أن ينكره أو يتجاهله، نعتمد عليه في دراساتنا الإنسانية عموماً، فضلاً عمّا يحمله إلينا أدب ذلك العصر من لغة وقيم وأخلاق وعادات جديرة بالدرس والتحليل.

تناولت في هذه الدراسة ثلاثة من كبار الشعراء الجاهليين ممّن اهتمُّوا بالخيل، فوصفوها وتفوّقوا، فكان ذلك القاسم المشترك بينهم هم الثلاثة وعنيت سلامة بن جندل وطفيل الغنوي وأبو دؤاد الإيادي جارية بن الحجّاج. ومن أجل إبراز نقاط التشابه بين الشعراء الثلاثة، تتبَّعت ما قاله كلٌّ منهم في صفات الفرس وغيرها من الحيوانات التي عرفوها، ولم أقتصر على ذلك، بل أشرت إلى الفنون الأخرى التي خاض كل منهم فيها وانتهيت إلى ذكر الخصائص الفنيّة لكلٍّ على حِدة.

فعذراً أيّها القارىء الكريم، إن كنت قد قصَّرت، أو أخطأت، فحسبي أنني حاولت ما استطعت، من أجل بلوغ الغاية، والله أسأل أن يسدِّدني ويوفّقني إلى ما يحبّه ويرضاه.

المؤلف

أحمد حَسن بَسَج

شتورة في ٧ ذي القعدة ١٤١٤ هجرية

الموافق ١٧ نيسان ١٩٩٤ رومية

الفصل الأول

البيئة الجاهلية

العصر الجاهلي:

يقسم الباحثون والمؤرِّخون هذا العصر إلى فترتين: جاهلية أولى، ولا نعرف عن أخبارها إلاَّ القليل كأخبار عاد وثمود من خلال ما جاء في القرآن الكريم، وجاهلية ثانية، وهي التي سنوجِّه إليها العناية، وتمتد هذه الفترة إلى مائة وخمسين عاماً، قبل البعثة النبوية.

أمّا التسمية، فقد اشتقّ الاسم من الجهل الذي يحمل، فضلاً عن الأميّة، معاني الفساد والطيش والحمق وعبادة الأوثان، وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الجاهلية، بهذا المعنى فقال تعالى: **﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾**[1]، وفي الحديث الشريف، قال النبي ﷺ مخاطباً أبا ذر الغفاري، وكان عيّر رجلاً بأمّه: **«إنَّك امرؤ فيك جاهلية»**[2].

ونحن عندما نتناول هذه الفترة، إنما نفعل ذلك لأن ظاهرة الشعر

---

(١) سورة المائدة آية ٥٠.

(٢) رواه البخاري إيمان ٢٢، وأدب ٤٤. ومسلم أيمان ٣٨ وأبو داود أدب ١٢٤...

العربي تعود إلى هذه الفترة، من حيث نشأة هذا الشعر، وقد ذهب الجاحظ هذا المذهب فقال: «أمّا الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة. وإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار، فمائتي عام».

البيئة الطبيعية:

يقسّم الجغرافيون شبه الجزيرة العربية إلى عدة أقاليم طبيعية، أولها تهامة، تلك المنطقة الساحلية الضيّقة التي تطل على البحر الأحمر، وتعرف باسم الغور نظراً لانخفاضها ولارتفاع الحرارة فيها، وأراضيها رملية إجمالاً، ومن أهم المدن في هذا الإقليم جدة وينبع والحديدة. أمّا الإقليم الثاني فالحجاز وهو المنطقة الجبلية التي تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتكثر فيه الحرّات والأودية، كما وجد قديماً في هذه المنطقة بعض الآبار والعيون التي نشأت عليها مدن وقرى، كالمدينة المنوّرة ومكة المكرّمة التي احتلّت موقعاً استراتيجياً هامّاً بين شمال الجزيرة وجنوبها.

وإذا توجّهنا شرقاً، فإقليم نجد وهو يشكّل وسط الجزيرة ويتميز باعتدال مناخه، وطيب هوائه، أمّا الأمطار، فكانت تهطل بين وقت وآخر، فتنبت المراعي، وتمتلىء الآبار، وهذا الإقليم هو موطن الشعراء الجاهليين، الذين طالما تغنُّوا بريح الصّبا اللّطيفة، وتغزّلوا بأزهار الخزامى والعرار وغيرها. ويتصل بهذا الإقليم وإلى ناحية الشرق وما يليه إلى الشمال حتى أطراف العراق إقليم العروض الذي

يشمل اليمامة والبحرين، وتكثر الأمطار في شمال هذه المنطقة، خصوصاً ممّا يحاذي حدود الشام والعراق، وتكثر أشجار النخيل في الأحساء، وهي أكبر مدن البحرين، وفي القطيف، المشهورة بخصب أراضيها.

أمّا اليمن، فالجزء الجنوبي من جزيرة العرب، ويشمل هذا الإقليم حَضْرَمَوت ومهرة والشِّحر، ويتميَّز اليمن بطبيعته الجبلية وبكثرة الأودية، تتخلَّلها سهول واسعة غنية بالمزروعات والثمار والمياه نظراً لكثرة الأمطار الموسمية الغزيرة، ومن أهم المزروعات في اليمن: الطيب والبخور واللّبان.

وعلى وجه الإجمال، فإن المناخ في شبه الجزيرة العربية حارّ، وتهبّ عليها رياح السموم صيفاً وهي حارّة جدّاً، كما تهبّ ريح الصّبا، الشرقية المعتدلة، والأمطار قليلة عموماً، ممّا جعل الشعراء يكثرون من ذكرها ويتلهَّفون عليها.

وفي بيئة صحراوية، كتلك التي نتحدث عنها، توجد حيوانات، تستطيع احتمال الأجواء الحارّة، وتصبر على العطش، كالخيل والإبل وهي وسائل أساسية للنقل في الجاهلية، واعتمدوا على تربية الأغنام كمورد للغذاء. ومن الحيوانات التي عرفوها، وذكروها في أشعارهم: الظبي والغزال، وشبّهوا عيون النساء بعيون المها، كما عرفوا حمار الوحش والبقرة الوحشية، والزرافة والنعام، ومن الحيوانات المفترسة الأسد والنمر والفهد والضبع والذئب، ومن الطيور: النسر والصقر والحدأة والغراب والقطا والجراد، والضبّ والعقرب وغير ذلك، أمّا صديق البدوي الشهير فالكلب، الذي يرمز إلى الوفاء.

البيئة الاجتماعية:

البادية

عاش البدو حياة قبلية، فالقبيلة هي التجمُّع البشري الذي ينتمي إليه جماعة من الناس، يرجعون إلى جدٍّ واحد، والرابطة الدموية في هذه الوحدة الاجتماعية هي رابطة لا تنفصم عراها، ولا يستطيع الفرد أن يشب عنها. ولمّا كانت الصحراء، تفرض أنماطاً معينة من الحياة، فقد اتخذ الصراع القبلي وجهين: أحدهما بين القبائل اليمنية والقيسية لأسباب سياسية واقتصادية، وثانيهما بين القبائل المتجاورة، شمالية أو جنوبية، وذلك بسبب التنافس على المراعي وموارد الماء، وتجاوزوا ذلك مع الأيام، حتى صار الغزو هدفاً بذاته، وبديلاً عن البحث لإيجاد الموارد الاقتصادية، وهكذا تحوَّلت الحياة البدوية إلى غزوات وأيّام ومعارك دائمة، وثارات لا تنتهي، ممّا فرض على القبيلة أن تكون مستعدة دائماً لخوض الحرب، وأدّى ذلك إلى تكريس فضائل كثيرة نشأت عن قانون القوة هذا، كالشجاعة مثلاً إذ صارت مثلاً أعلى، وهم يفاخرون لذلك ببطولاتهم وانتصاراتهم، ويتباهون بعديدهم وبأموالهم ويعتدون بسيوفهم الهندية واليمانية وبرماحهم وقسيهم، كما أشادوا بخيولهم وابتكروا لها الأسماء الكثيرة.

ونظراً لاستمرار الحروب، فقد كثر القتل وبالتالي الأخذ بالثأر، وصار القوم يقسمون، ويقطعون العهود بأن لا يعودوا إلى حياتهم الطبيعية قبل أن يأخذوا بثأر قتلاهم من قاتليهم، أو بقتل أي فرد من أفراد القبيلة بدلاً من القاتل. والفرد، في كل ذلك، لا يملك حق

الاعتراض والنقض، بل عليه السمع والطاعة في ما تسير عليه القبيلة، وما تتخذه من القرارات، في الحرب أم في السلم، في تحالفاتها أو في أنظمتها الداخلية وأعرافها التي تتبعها، يقول[1] دريد بن الصِّمة:

وما أنا إلاّ من غزية إن غوْت
غويتُ وإن ترشُدْ غزيَّةُ أرشدِ

ويقول[2] أيضاً:

يُغار علينا واترين فيُشتَفَى
بنا إن أُصبنا أو نُغير على وترِ
قسمنا بذاك الدهرَ شطرين بيننا
فما ينقضي إلاّ ونحن على شَطر

وما أكثر المواقع والحروب والثارات، وقد أطلقوا عليها «الأيام»، التي أكثر المؤلفون[3] في إحصائها وعدِّها، ومن هذه الأيام: يوم خزاز بين ربيعة واليمن، ويوم الكُلاب الأول بين بني بكر وعشائر من تميم وضبّة، ويوم الرحرحان بين قيس وتميم وغير ذلك من الأيام. وقد ذكر المؤرّخون حربين طويلتين طاحنتين هما حرب[4] البسوس

(١) ديوانه ٤٧.
(٢) ديوانه ٦٤.
(٣) انظر العقد الفريد، ومجمع الأمثال، الذي ذكر اثنين وثلاثين يوماً منها، وذكر أسماء القبائل التي شاركت فيها.
(٤) البسوس: خالة جسّاس بن مَرّة سيّد بني بكر، وكان قتل كليباً سيِّد تغلب، بسبب ناقة للبسوس كان كليب أصابها بسهم.

بين قبيلتي بكر وتغلب، وقد دامت هذه الحرب أربعين سنة، على شكل أيّام وجولات بين الحين والآخر، والحرب الثانية هي حرب[1] «داحس والغبراء»، وكانت في أواخر العصر الجاهلي وقد ذهب ضحيتها عشرات القتلى وانتهت، كما انتهت سابقتها بصلح. سعى به سيدان من ذبيان هما الهرم بن سنان والحارث بن عوف، وكانا تحمَّلا الديّات عن القتلى.

العادات والتقاليد

كانت القبيلة هي الإطار الذي يجتمع حوله الأفراد، فهم يتضامنون ويتعاضدون من أجل القبيلة وشرفها، هذا الشرف قد اتخذ عدة اتجاهات وشمل الكثير من المفاهيم والأعراف مثل الحلم والوفاء وحماية الجار والإعراض عن الأذى، والكَرم، وهذه الخصلة كانت من أهم ما تميّز به الجاهليون ويرتبط كرمهم هذا بحياة الصحراء الخشنة وأحوال الجدب والمحل، فالعربي لا يتردّد في ذبح ناقته ليقري الجائعين أو الأضياف، وممّا يدل على كرمهم إشعالهم النيران ليلاً، في الأعالي والمرتفعات، ليهتدي المسافرون والتائهون ويجدون منزلاً، ومن أجوادهم المعروفين حاتم الطائي الذي يُضرب به المثل، وعبد الله بن جدعان، وغيرهما.

---

(١) دارت هذه الحرب بين عبس وذبيان، بسبب حصان «داحس» وفرس «الغبراء»، وكانا تسابقا، فكمن رجل من ذبيان له وأعاق تقدمه حتى فازت الغبراء، فثارت ثائرة العبسيين وتنازعوا مع ذبيان واندلعت الحرب بعد ذلك.

وكما تمسَّكوا بالكرم وحماية الجار، فقد رفضوا الذل والهوان، لأن ذلك يحطّ من منزلة الفرد والقبيلة، فإذا أحسّ الجاهلي بخدش كرامته، كان يثور كما ثار عمرو بن كلثوم على عمرو ابن هند وقتله ثأراً لشرف أمه التي أحسّ أنَّها أهينت في بلاطه، ومن هنا كان تفاخرهم بالشجاعة والفروسية وأعمال البطولة.

أمّا النظام العام بين أبناء القبيلة الواحدة فكان يقوم على حمايته شيخ القبيلة الذي يمثّل كل المعاني السامية من الذكاء والحنكة والحكمة.

وبالإضافة إلى كل ما ذكرناه من تمسك بالقيم والفضائل، فإنَّ الجاهليين عملوا أيضاً على قضاء أوقات في التسلية واللهو، فأقبلوا على شرب الخمرة واستباحوا النساء، ولعبوا القمار، وذكروا ذلك في أشعارهم فتغزَّلوا بالمرأة ووصفوا الخمرة كما نجد في شعر الأعشى، وطرفة بن العبد، كما استمعوا إلى القيان في دور خاصة، وكان النصارى واليهود يرعون مثل هذه العادات والأماكن. يقول[1] طرفة:

وما زال تشرابي الخمورَ ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأُفردت إفرادَ البعير المعبّد

(١) ديوانه ٤٥.

ولــولا ثــلاث هــنّ مــن عيشــة الفتــى
وجــدِّك لــم أحفــل متــى قــام عــوّدي
فمنهــنّ سبــق العــاذلات بشــربــة
كُمَيــتٍ متــى مــا تُعــلَ بــالمــاء تُــزبــدِ
وكــرِّي إذا نــادى المضــاف محنّبــاً
كسيــدِ الغضــا نبهتــه المتــورِّد
وتقصيــرُ يــوم الــدجــنِ والــدجــنُ معجــبٌ
ببهكنــةٍ تحــت الخبــاءِ المعمّــد

يعلن طرفة موقفه من شرب الخمرة، هو باع كل شيء وأنفق كل ما يملك على الخمرة، وأنه يعيش في هذه الدنيا، من أجل ثلاث لذّات: الخمرة، والنساء ونجدة الملهوف. وهذه الصورة نجدها عند كثيرين منهم، ولكن هنالك من خرج عن ذلك مثل عنترة بن شدّاد، وعروة بن الورد اللذان تعفّفا عمّا ذكره طرفة وترفّعا. والجدير بالذكر أن عروة بن الورد كان من الصعاليك، أي من فرسان الجاهلية الذين أصابهم الخلع فخرجوا عن طاعة القبيلة، وكثرت جراياتهم، فهاموا على وجوههم يسلبون الأموال من الأغنياء، وكان عروة يطعم الفقراء من أموال السلب.

أمّا المرأة، في الجاهلية، فكان لها دورها المميَّز، وكنّ على نوعين: المرأة الحرّة وكانت تقوم بإعداد الطعام وتنسج الثياب، وتصلح الخباء، إلاّ إذا كانت من الشريفات، فكانت عندئذٍ تُخدَم، وإذا خطبت الفتاة الشريفة، فكانت تختار الزوج المناسب لها. والنوع الثاني من النساء الإماء، وكان منهنّ من يخدمن الشريفات،

وبعض الإماء كنّ عاهرات أو قينات يضربنّ على المعازف ويغنّين في حوانيت الخمّارين، وإذا ولدت الأمَة من هؤلاء، فإن الأب لا يعترف بولده منها، إلاّ إذا كان بطلاً عظيماً، كما هي حال عنترة.

وقد لعبت المرأة، في الجاهلية، دوراً بارزاً في العلاقات الاجتماعية، وفي الحروب إذ كانت تشارك في الحرب، فتنشد الأناشيد الحماسية، وترثي القتلى وتندب، وتغضب إذا أهينت القبيلة، أو قصّرت في الأخذ بالثأر، ولنا في الخنساء خير مثل على ذلك، وإذا حضرت المرأة المعركة، فلا سبيل إلى فرار المقاتلين، فهم يثبتون ويناضلون إكراماً لها. وقد عرف الجاهليون قدر نسائهم، فهي لم تكن دائماً مهانة، لأنها تصرّفت بالمال وشاركت في كثير من الأعمال التجارية، وإتجار السيدة خديجة دليل على ذلك، ولكننا بالمقابل نرى الكثير من المواقف التي تغض من كرامة المرأة ومن منزلتها، إذ كان الزوج يجمع بين أختين، كما كان يتزوج الابن امرأة أبيه، كما كانوا يمنعون على المرأة أن تتزوَّج بعد وفاة زوجها، فضلاً عن دفن البنات وهنّ صغيرات، وقد استمرّت الحال كذلك حتى قضى الإسلام على كل تلك المفاسد والآفات، فكرّم المرأة وأعاد إليها اعتبارها، فأطلق حريتها في الزواج بعد وفاة زوجها، وحرّم الجمع بين الأختين، كما حرّم وأد البنات.

طرق المعيشة

اعتمد سكان البادية على تربية الأغنام كوسيلة للعيش، فيأكلون من لحومها، ويلبسون من أصوافها، ويستفيدون أيضاً من حليبها. ومما لا شك فيه أن إقامة البدوي في الصحراء كانت ترتبط بوجود

الماء والغذاء، فإذا جفّت الآبار انتقل إلى مكان آخر، وقد يصطدم بقبيلة أخرى، وسرعان ما تضطرب الأحوال وتشتعل الحرب. وتجدر الإشارة هنا إلى أن البدوي كان مغرماً بصيد الغزلان والحمار الوحشي وغير ذلك من حيوانات الصحراء، يطاردها لمسافات طويلة، وهي تعتبر من مصادر غذائه.

بالمقابل، نجد سكان المدن، قد عاشوا حياة استقرار، فمارسوا بعض المهن والحرف، فاشتغلوا بالتجارة والزراعة والصناعة، ومن أهم مناطق الزراعة: الطائف، الأحساء، اليمن وفي مناطق متفرِّقة أخرى. أمّا التجارة فقد تركّزت في مكّة بشكل رئيسي لأنها كانت تمثّل محطة التقاء جميع أبناء الجزيرة، فمنها تنطلق القوافل شمالاً إلى الشام وجنوباً إلى اليمن وشرقاً إلى البحرين، وبالعكس، وكانت تقام أسواق تجارية كثيرة وضخمة منها سوق عكاظ، وهو مهرجان تجاري وثقافي، وسوق ذي المجاز بالقرب من مكّة، وسوق دومة الجندل شمالي نجد، وسوق خيبر وغير ذلك.

البيئة السياسية

لم يعرف العرب، في جاهليتهم، أنظمةً سياسية متطورة، بالمفهوم الحديث، ولكننا، على كل حال، نقع على أشكال بدائية للحكم أهمها النظام القبليّ، حيث تعتبر القبيلة وحدة سياسية واجتماعية مستقلّة على أرضها، ترفض الخضوع والإذعان لأية سلطة مجاورة أو لقبيلة أخرى، يحكمها الشيخ، وهو غالباً رجل متقدِّم في السن، خبير مجرَّب محنَّك، عاقل شجاع مهيب ذكي شهم، ويعاونه في الحكم، وعند الضرورة رجال من القبيلة يختارهم للشورى،

ويتمتع الشيخ بصلاحيات واسعة، وكلمته لا تُردّ، فهو السيد المطاع، وعلى أفراد القبيلة السمع والطاعة، وليس للفرد أن يرفض، فهو عضو في الجماعة، تذوب شخصيته في القبيلة، نظراً للرابطة الدموية القائمة. وكان من صلاحيات الشيخ إعلان الحرب، وعقد الصلح، وطرد المجرمين الذين كثرت مفاسدهم، أو معاقبتهم بما كان يراه مناسباً، وكان يعقد التحالفات مع قبائل أخرى، إذا رأى لذلك ما يبرّره.

أمّا الشكل الثاني من أشكال الحكم، فهو نظام الدولة المستقلّة أو الإمارة التي يحكمها الأمير أو الملك، وقد عُرف إمارتان على الأطراف الشمالية لبلاد العرب، الأولى إمارة الحيرة وأقامها الفرس وحكمها المناذرة اللّخميون، والثانية إمارة الغساسنة، وقد أقامها الروم، وكانت الغاية من وراء هاتين الإمارتين الدفاع عن مصالح الدولتين العظميين ضد غزوات القبائل العربية، وقد عرفت بلاد نجد نظاماً ملكيّاً، ولكن لفترة قصيرة إثر غزو ملك اليمن حسان تبع إلى نجد والحجاز وقد مكّن لحجر الكندي أن يؤسّس مملكة ويخضع القبائل، ولكنها انفضت سريعاً وقتلت ملكها حجراً الثاني والد امرىء القيس الشاعر، وعادت سيرتها الأولى.

البيئة الدينية

انتشرت الوثنية في الجزيرة العربية، واتخذ الناس الأصنام المصوّرة والأوثان المختلفة، وعبدوها من دون الله، وعبادة الأوثان والأصنام ليست جديدة، فقد عُرفت في عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم من بعده حتى انتشرت على نطاق واسع بعد فترة من

رفع المسيح عليه الصلاة والسلام. ومن أهم أصنامهم[١] هُبَل وسُواع ويغوث ويعوق ونسر ورضا وتيْم وذو الخلصة وذو الشّرى، وكان من هذه الأصنام ما هو على صورة إنسان كهُبَل وكان على هيئة رجل، وهو من حجر العقيق، وكان سواع على هيئة امرأة، ويغوث على صورة أسد، وقد بلغ عدد أصنامهم ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة وما يليها في مكّة المكرّمة.

أمّا أوثانهم فكانت على غير هيئة إنسان أو حيوان، فهي من الجمادات كاللات التي عبدها اليمنيون وأهل الحجاز وهي صخرة كانت مربَّعة الشكل بالطائف، ومناة صخرة أخرى موقعها على الساحل بين مكّة والمدينة، والعزّى كانت شجرة بوادي نخلة، وممّا بلغ من حمقهم، أن بعضهم إن لم يجد صنماً يعبده، كان يتخذ أي حجر يستحسنه من حجارة الأثافي، فيتعبّد له، وهم أمام كل هذه المعبودات، يقفون معظّمين لها يقدِّمون إليها القرابين من الأموال والذبائح. وممّا يذكر أنهم كانوا يطوفون حول الكعبة ويلبّون، ولكن البعض كانوا يزيدون في التلبية ويشركون[٢]، ومنهم من كان يطوف حول اللات أو العزى ويلبي كل من هؤلاء على طريقته.

وكان للحج أربعة أشهر، هي الأشهر الحرم: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم، والحج إلى مكّة في ذي الحجة، وكانوا

---

(١) العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف، ٩٠.

(٢) ومما كانوا يقولونه في التلبية: لبيك اللّهمَّ لبيك، لا شريك لك إلاّ شريك هولك، تملكه وما ملك.

يحرِّمون القتال في هذه الأشهر. وهكذا فقد كان للكعبة مكانتها عندهم، ومن أجل ذلك قاموا على حمايتها ورعايتها، وسمُّوا ذلك سِدانة أو حِجابة يقوم بها الكَهَنة والسَّدنة، وكانوا يدّعون معرفة الغيب وأن الجنّ في خدمتهم، وممّن عرف بذلك سَطيح الذئبي، وشق بن مصعب الأنماري، ومن الكاهنات الشعثاء، والزرقاء بنت زهير.

وكما اعتقدوا بوجود الجن، اعتقدوا بوجود الملائكة ونسبوا إليهم الخير، وسمُّوهم بنات الله، وقد بنوا على ذلك الأساطير الكثيرة، فزعموا أن الجن هي السبب في الأمراض والعلل، وهي تصدّ الثيران عن الماء، وظنّوا أن الإنسي قد تستهويه جنيّة فيتزوّجها، ومن معتقداتهم أن لكل شاعر من شعرائهم شيطاناً يلقّنه الشعر.

فضلاً عن كل ذلك، إن الجاهليّين لم يكونوا يؤمنون بالبعث والنشور ويزعمون أن حياتهم الدنيا هي الأولى والآخرة. ورأى[١] بعضهم أن الدهر هو الذي يقلب أحوالهم ويتحكّم في حياتهم. ولكن طائفة من أهل ذلك الزمان، وقفت موقفاً رافضاً لتلك المفاسد، ولم تقتنع بعبادة الأوثان، وكان أصحاب هذا التوجه يرون العودة إلى دين ابراهيم أي إلى الإسلام، من ذلك ما يروى عن زيد بن عمرو بن نُفيل الذي حرّم على نفسه الخمرة والميتة وكل أفعال الجهل والفساد والوثنية وقال «اعبد ربَّ ابراهيم»، ولم يكن يهودياً أو نصرانياً.

---

(١) «وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون». (الجاثية آية ٢٤).

وانتشرت اليهودية والنصرانية، إلى جانب الوثنية، في الجزيرة العربية، وأهم أماكن انتشار اليهود، في الحجاز: يثرب وخيبر ووادي القرى وتَيْماء، ومن قبائلهم في يثرب: بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو بهدَل، ومن أعمالهم الزراعة، والحرف كصناعة الثياب والسلاح، وكان من اليهود شعراء من أمثال السموأل ابن عادياء الذي اشتهر بوفائه. أمّا النصارى، فقد انتشروا في نجران واليمن والحيرة، وفي الشام في إمارة الغساسنة، وكذلك في الجزيرة الفراتية، وكان هؤلاء على مذهب اليعاقبة، وكان منهم شعراء من أمثال عدي بن زيد العبادي.

البيئة الثقافية

إن الحضارة التي عرفنا بعض معالمها، من خلال القرآن الكريم ومن خلال بعض المرويات القديمة، في اليمن، لم تصلنا كاملة وواضحة، ولم نعلم عن وجود آداب أو فنون، ولم يثبت كذلك، أن العرب الشماليين قد أخذوا شيئاً من ذلك عن الجنوب. ولكن الذي لا شك فيه، أنه كان لعرب الشمال والجنوب علاقات مع الشعوب المجاورة، عن طريق التجارة أو البعثات الدينية، لأن نصارى الجزيرة كانوا على اتصال دائم بإخوانهم في الشام والحبشة. أدّى ذلك الاتصال، بكافة وجوهه ووسائله، إلى دخول بعض العادات والأنظمة من بلاد الروم والفرس، عن طريق إمارتي الحيرة والغساسنة.

يبقى أن نشير إلى المعارف والعلوم، التي عرفها العرب في

جاهليتهم، من ذلك علم الأنساب والأيام والمواقع، وقد اهتمُّوا بأنسابهم لما في ذلك من حفظ للعرق انطلاقاً من وحدة الدم ووحدة القبيلة، وكذلك، علمهم بالأيام، كان الدافع إليه قبلياً، ففي ذلك تاريخهم الذي يحفظ انتصاراتهم وأخبارها التي يتفاخرون بها. أمّا العلوم الأخرى، فقد اهتمُّوا بها، على قدر حاجتهم، ففي مجال العلوم الفلكية، تعرَّفوا إلى مسالك النجوم، وراقبوها ليميِّزوا بين الثابت منها والمتحرِّك، والذي يسير في مجموعة أو منفرداً، فهم احتاجوا إلى ذلك من أجل أسفارهم الليلية وكانت كثيرة والمسافات طويلة في صحراء قاحلة خشنة، وقد اهتمُّوا بمطالع النجوم والرياح وسرعتها واتجاهها لتعينهم في التعرُّف إلى أوقات نزول المطر. وفي مجال الطب، لم يعرفوا من الصنعة إلاَّ المداواة بالكي والأعشاب، ولم يحاولوا أن يطوِّروا معرفتهم هذه، نظراً لاقتناعهم بأنَّ الجنَّ والعفاريت يقفون وراء كل الأمراض، ومن مشاهير الأطباء الحارث بن كلدة. وكما اهتموا بالطب البشري، كان حرياً بهم أن ينظروا في أمراض الحيوان خصوصاً الخيل والإبل والأغنام. ومن علومهم الفراسة والقيافة ليتعرَّفوا على الذين يضلّون في الصحراء، أو ليتعقَّبوا الأعداء. وعلى العموم فإن هذه العلوم ظلَّت سطحية، بعيدة عن التعمُّق، والتجربة وهم ما كانوا ليهتموا بها لولا حاجتهم إلى بعض مبادىء لا يستغنون عنها، مع ما يداخلها من خرافات لا أساس لها في الواقع أو في المنطق، كالعِيافة مثلاً وهي التعرف إلى الحوادث المستقبلية من خلال حركات الطير! يدل كل ذلك على أن استخدامهم للعقل لم يكن كما ينبغي، فحياة البداوة بأساليبها الخشنة خصوصاً قانون القوة، جعلهم يلجأون دائماً إلى استخدام الطرق

التقليدية التي تعتمد القوى الجسدية والمادية دون العقل، وإذا لاحظوا أمراً غريباً في الطبيعة، تصوّروا أوهاماً لا وجود لها بدلاً من ربط الأسباب بالنتائج ربطاً عقلياً.

الشعر الجاهلي

ولعل سذاجة العيش وبساطته، كانا سبباً في اهتمام الجاهليين بضروب من الأدب، صارت فيما بعد فنوناً راقية، وبعضها كالشعر كان أهمّ ما تركه لنا الجاهليون في مجال الآداب والفنون. ويقال إن الشعر حديث العهد وأول من شقّ طريقه امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة، وقد سار من بعد الشعراء الجاهليون سيرة امرىء القيس في الوقوف على الأطلال والبكاء عليها، وذكر الحبيبة والتغزّل بها، وقد تعدّدت أغراض الشعر وتنوّعت من مدح وهجاء وفخر ورثاء، وكان الشاعر يجمعها في قصيدة واحدة، لأنهم لم يعرفوا الوحدة التأليفيّة، فالبيت عندهم هو وحدة فنية قائمة بذاتها، ويرتبط ذلك بميلهم إلى الإيجاز والاختصار، والإيجاز يرتبط بدوره بالأمية، التي أدّت إلى اعتمادهم على الذاكرة فكان الاختصار وحشد المعاني الكثيرة في أقل قدر من الكلام لتسهيل حفظ الشعر وغيره. وقد أفرط الجاهليون في استخدام الصور المادية، فعبَّروا عن المعاني الذهنية عن طريق المقارنة والتشبيه بالصور المحسوسة التي استمدُّوها من واقع الحياة التي يحيونها.

ومن الفنون الأخرى المثل وقد برعوا فيه وتوسَّعوا، وعبَّروا عن مشكلات إنسانية اجتماعية كثيرة في إطار فني رفيع بليغ، وقد جمعت

الأمثال[1] والحِكَم في كتب فبلغت آلاف الأمثال. كما اشتهر العرب في جاهليتهم بسرعة الخاطر والبديهة المتوقّدة، فكان منهم خطباء بلغاء، ومنهم الحكماء مثل الأكثم بن صيفي، وقُس بن ساعدة الإيادي وقُصي بن كلاب.

أمّا مصائبهم التي عبّروا عنها سواء في شعرهم أم في نثرهم، فهي سطحية في معظمها، واقعية استمدُّوها من بيئتهم فصوّروا الحياة والموت، والحرب والثأر، والصراع القبلي، والأحقاد والضغائن، والطبيعة الخشنة وقلّة الماء حتى انعكس كل ذلك في أخلاقهم فصاروا إذا تحدثوا عن أي أمر، ربطوا ذلك بمعطيات بيئية مختلفة، وخصوصاً الماء الذي عبَّروا عن أهمّيته في معرض الدعاء وفي الرثاء، وإذا عبَّروا عن الفتوّة كانوا يقولون «ماء الحياة» مثلاً أو ماء الشباب أو ما يشبه ذلك، وقد بالغوا في هذا الأمر إلى حد اعتقادهم بوجود طير اسمه الهامة يخرج من رأس الميت، إن لم يؤخذ بثأره، ويظل صائحاً «اسقوني اسقوني» حتى يؤخذ بثأر القتيل!.

وجدير بالذكر، أن البعض، وبفضل خبرته وثقافته، قد أتى بالحكمة والموعظة، فكانت من هذا القبيل، معلَّقة زهير بن أبي سُلمى بما تضمَّنته من الحِكَم الراقية التي تصلح أن تطبَّق في كل زمان ومكان. وقد نلمح خواطر حكمية وتأمّلات في معلّقة طرفة بن العبد. وممّا جاء في معلقة زهير:

---

(١) من أهم كتب الأمثال: جمهرة الأمثال للعسكري. ومجمع الأمثال للميداني. وغيرهما.

ومـــن لا يصـــانــع فـــي أمـــور كثيـــرة

يضـــرّس بـــأنيـــاب ويـــوطـــأ بمنســـم

ومـــن لا يـــذد عـــن حـــوضـــه بســـلاحـــه

يهـــدّم ومـــن لا يظلـــم النـــاس يُظلـــم

ومـــن هـــابَ أسبـــابَ المنـــايـــا ينلنـــه

وإن يَـــرْق أسبـــابَ السمـــاءِ بسلّـــمِ

وممّا قاله طرفة[1]:

أرى العيـــش كنـــزاً نـــاقصـــاً كـــلّ ليلـــةٍ

ومـــا تنقـــص الأيـــامُ والـــدهـــرُ ينفَـــدِ

ستبـــدي لـــك الأيـــام مـــا كنـــت جـــاهـــلاً

ويـــأتيـــك بـــالأخبـــار مـــن لـــم تـــزوّد

---

(١) ديوانه ٤٥ .

الفصل الثاني

سلامة بن جندل[1]

هو سلامة بن جندل من بني عامر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر جاهلي قديم، من الفرسان المعدودين. وكذلك كان أخوه أحمر بن جندل، وكان عمرو بن كلثوم، الشاعر الفارس التغلبي المشهور، قد أغار على حيٍّ من بني سعد بن زيد مناة فأصاب منهم فيمن أصاب أحمر بن جندل، وقد امتدَّت حياته بعد وفاة النعمان أبي قابوس اللخمي، لأنه رثاه بقصيدة[2]. وذهب بعض[3] المستشرقين إلى أنه كان مسلماً لأنه ذكر اسم الله وسمّاه «الرحمٰن»، كما ادّعى[4] البعض الآخر أنه كان نصرانياً، وهذان الادعاءان بعيدا الاحتمال وليس هنالك أي دليل يؤيِّد ما ذهبا إليه.

---

(١) ترجمته في: طبقات فحول الشعراء: ٦٦. الشعر والشعراء: ١٦٦. تاريخ الأدب العربي/ بروكلمان: ١/ ١١٩، الأعلام: ٣/ ١٠٦.

(٢) الأصمعيات: ١٣٢.

(٣) هو المستشرق آلورد. انظر بروكلمان ١/ ١١٩.

(٤) لويس شيخو. انظر بروكلمان أيضاً ١/ ١١٩.

ديوانه:

روى أبو سعيد الأصمعي[1] ديوان سلامة بن جندل، بعدما كانت تتناقله الشفاه والألسن على غير نظام، وأضاف الأصمعي إليه شروحاً لبعض أبياته. ثم روى الديوان أيضاً، أبو عمرو الشيباني[2]، وعلّق عليه، وقد جاءت الروايتان متشابهتين، ممّا مهّد لأبي العباس الأحول أن يجمع بين الروايتين البصرية والكوفية، والأحول هذا كان سمع شعر سلامة من الأصمعي والشيباني مباشرة، وقرأهما على عمارة بن عقيل فأخذ عنه شروحاً وروايات ضمّها إلى ما كان لديه، ثم أملى ذلك على تلامذته، وبذلك طرأ على الديوان زيادات من تعليقات وشروح أضافها النسّاخ وأهل العلم.

منزلته:

قد ذكره[3] ابن سلام في الطبقة السابعة، وأخبر بأنّ أفراد هذه الطبقة من الشعراء «أربعة رهط محكمون، في أشعارهم قِلّة فذاك الذي أخّرهم».

---

(١) عبد الملك بن قريب، المتوفى سنة ٢١٦ هـ. وكان إماماً في اللغة، متزناً ديّناً ثقة. لم يكن في البصرة من يدانيه.

(٢) اسحاق بن مرار، أبو عمرو، إمام أهل الكوفة في رواية الشعر القديم، وله رواية في الحديث.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ٦٦. والشعراء الذين ذكرهم في طبقته: حصين بن الحُمام المرّي والمتلمس جرير بن عبد المسيح الضبعي والمسيّب بن علس الضبعي.

أمّا ابن قتيبة فقد عدّه من الفرسان الشعراء المعدودين، وهو أحد من يصف الخيل.

إذاً، هو لا يقلّ عن الشعراء الجاهليين بشيء، إلاَّ أن شعره قليل، ولكن الذي ذهب إليه ابن سلام، في تصنيفه لابن جندل في الطبقة السابعة، ليس حُكماً مبرماً، ومهما كان شأنه، فإنه لا يغض من مكانة الشاعر من حيث قوة أسلوبه، وسيره على مناهج الجاهليين، في التزام عمود الشعر العربي، فضلاً عن تفوُّقه في وصف الخيل من حيث قصّر الآخرون. وهو، على قلّة شعره، قد نظم في الأغراض المختلفة، سنحاول أن ندرس، من خلالها، خصائصه النفسية والفنية.

الوصف:

إذا كان فن الوصف هو فن الكشف والإظهار والتصوير، فإنَّه، انطلاقاً من هذا المفهوم يتداخل بغيره من الفنون بطريقة أو بأخرى، صراحة أو ضمناً. وبالعودة إلى الشعر الجاهلي، سنجد أن هذا الفن وُجد مذ قالت العرب الشعر، ولكنه لم يكن منفصلاً أو مستقلاً عن الأغراض الأخرى، وإذا اعتبرنا أن امرأ القيس، هو أول من وقف على الأطلال، وبكى على الأحبّة واستبكى، فإنه هو أيضاً أول من صوّر بيئته ووصف الديار، وتغزّل ووصف المحاسن الأنثويّة، وفعل الشيء نفسه المهلهل بن ربيعة. قال امرؤ القيس في مطلع معلقّته[1]:

---

(١) المعلّقات السبع: ٧.

قفـــا نبـــكِ مـــن ذكـــرى حبيـــب ومنـــزل
بسقـط اللـوى بيـن الـدخـول فحـومـلِ[1]
فتـــوضـــحَ فـــالمقـــراةِ لـــم يعـــف رسمُهـــا
لِمـــا نسجتهـــا مـــن جنـــوبٍ وشمـــأل[2]

قد وصف ديار الحبيبة بعد رحيلها، والبقايا لم تغيّرها الرياح التي تتلاعب بها تارة من الشمال وطوراً من الجنوب. وعلى هذه الطريقة سار الشعراء الجاهليون، وهذا هو حكيم الجاهلية زهير بن أبي سُلمى يصف الدمن ويقف على الأطلال، مع أنه لم يعشق، على طريقة امرىء القيس، ولم يتهتَّك، إلاَّ أنه افتتح بذكر الأحبّة، ووصف الأطلال، قال في معلّقته[3]:

أمِـن أمّ أوفـى دِمنـةٌ لـم تكلّـم بحـومـانـةِ الـدرّاج فـالمتثلَّـم[4]
ودارٌ لهـــا بـــالـــرقمتيـــن كـــأنّهـــا
مـــراجيـــعُ وشْـــمٍ فـــي نـــواشِـــر مِعصَـــمِ[5]

أراد زهير أن منازل الحبيبة أم أوفى خالية لا تجيب في أحد الموضعين اللذين ذكرهما، وهو يخرج الكلام مشكِّكاً أهي هنا أم لا؟ والدار التي بالرقمتين، تشبه برسومها الوشم الذي في معصم اليد وقد جدّد بعد انمحائه، ويتابع قائلاً:

---

(١) سقط اللوى، والدَّخول وحومل: أماكن.
(٢) توضح والمقراة: موضعان. الرسم: الأثر. عفى: انمحى.
(٣) المعلّقات السبع: ٧٣.
(٤) الدمنة: ما اسودَّ من آثار الدار. حومانة الدراج والمتثلّم: موضعان.
(٥) الرقمتان: موضعان. المراجيع: جمع المرجوع. الوشم: ما يوضع تحت الجلد بالغرز كالكحل. ونواشر المعصم: عروق اليد عند موضع السوار.

وقفـــت بهـــا مـــن بعـــد عشـــريـــن حِجّـــة
فـــلأيـــاً عـــرفـــتُ الـــدار بعـــد تـــوهُّـــم[1]
فلمّـــا عـــرفـــتُ الـــدارَ قلـــتُ لـــربعهـــا
ألا أنعـــم صبـــاحـــاً أيُّهـــا الـــربـــع وَاسلـــم

لقد طال الزمان بالشاعر، ومضت عشرون سنة، واستطاع أن يتعرَّف إلى الدار بعد تعب وجهد شديد، فلمّا وقف عليها حيّاها وخاطبها وكأنَّه يخاطب إنساناً حيّاً، ويتوهّم أن النساء يرتحلن على الإبل ويسأل صاحبه إن كان يرى ذلك، ويستغرق زهير في توهّمه قائلاً:

علـون بـأنمـاطٍ عِتـاقٍ وَكِلَّـةٍ   وِرادٍ حواشيها مشاكهة الدم[2]
وورّكن في السُّوبان يعلون متنه   عليهـنّ دلُّ النـاعـم المتنعِّـم[3]

ومن فرط شوقه لرؤية الأحبّة، تراءت له صورة الرحيل، وها هـنّ قد وضعن الأنماط الثمينة والأستار الرقيقة على الهوادج، وهي أستار حمر الحواشي لونها كالدم، وهنّ إذ يركبن أوراك الإبل، يبدو عليهنّ أثر النعمة. ويتابع وصف الركب فيشبّه قطع الصوف المصبوغ الذي زُيِّنت به الهوادج، في كل منزل نزلته النسوة بحبّ عنب لم يحطّم ولم يتغيّر لونه، ويصفهنّ عند مورد الماء وقد اشتدّ صفاؤه، عَزَمْنَ على الإقامة بجانبه:

---

(١) اللأي: الجهد. والحِجة: السنة.
(٢) الأنماط: جمع النمط: ما يبسط من الصوف. عتاق: كرام. كلة: ستر رقيق.
(٣) السُّوبان: الأرض المرتفعة. ورّكن: ركبن أوراك الإبل.

كأنّ فتات العهن في كلِّ منزلٍ نـزلـن بـه حـبُّ الفنـا لـم يحطّـم

فلمّـا وردن المـاءَ زُرقـاً جمـامُـهُ وضعـنَ عصـيَّ الحـاضر المتخَيّمِ

ويصف الرحلة منذ بدايتها، رحلة النساء التي بدأت سَحَراً، وهن يتوجَّهن إلى وادي الرس كاليد تتوجَّه إلى الفم لا تخطئه، وفي هؤلاء النسوة منظر معجب للعين لما يتمتّعن به من حسن المنظر وجمال باهر:

بكـرنَ بكـوراً واستحـرن بسُحـرةٍ فهـنَّ ووادي الـرس كـاليـد للفـمِ

وفيهـن ملهـى للطيـف ومنظـرٌ أنيـقٌ لعيـنِ النـاظـرِ المتـوسّـم

وها هو طَرَفة بن العبد يسير على النهج فيصف الأطلال ويقف عليها باكياً:

لخـــولـــةَ أطـــلالَ ببُـــرقـــة ثهمـــدِ

تلـــوحُ كبــاقــي الــوشــم فــي ظــاهــر اليــدِ

الصورة نفسها، تتكرّر عند زهير وطرفة، تشبيه الأطلال بالوشَم، وهذا ما نجده عند آخرين من أمثال لبيد وغيره حيث يقول:

وجلا السيولُ عن الطلول كأنَّها زُبُـرٌ تُجِـدُّ متـونَهـا أقـلامُهـا[١]

أمّا سلامة، فلم يخرج عن هذه المنهجية، بل سار عليها، فذكر الدمن والطلول، والأحبّة وعبّر عن شوقه وهيامه نحو الحبيب:

هـاج المنـازلُ رحلـةَ المشتـاقِ دِمَـنٌ وآيـاتٌ لبشـن بـواقـي[٢]

---

(١) المعلّقات السبع: ٩٤. الزبر: جمع زبور: الكتاب.

(٢) ديوانه: ١٣٢. الدمنة: الرسم وأثر الناس. آيات: علامات وآثار.

لبس الروامسُ والجديدُ بِلاهما فتركن مِثلَ المُهرَق الأخلاقِ[١]

بقايا المنازل، ذكّرته بالأحبّة، وهيّجت أشجانه، وهو لا يرى غير الرسوم الدارسة، وقد تلاعبت بها الرياح فدفنت ما كان ظاهراً منها وأخلقت ما كان صحيحاً. ويمضي على هذه الشاكلة ويذكر اسم الحبيبة وهي الحارثية:

للحارثيّةِ، قبل أن تنأى النَّوى بهمِ، وإذ هي لا تريد فراقي[٢]

وينتقل إلى وصف السحاب الذي يعبر ليلاً، يَجرّ ذيوله، فهو طبقات يعلو بعضها بعضاً، وقد شبّه السحابة السارية بالنعامة:

ومَجَرُّ ساريةٍ تجرُّ ذُيولَها نَوسَ النعامِ، تُناط بالأعناق

والغيمة قد جاءت من نحو مصر وأمطرت وتمكّن مطرها الغزير من عرض أشابة وزرود والأخلاق فسقى تربة هذه الأماكن.

إذا تأملنا هذه الصور، فإننا نرى أنه لم يخرج عن المادية التي سيطرت على الشعر الجاهلي عموماً، ونظراً لماديّته، نراه قد أفرط في استخدام التشبيهات الحسّية، والألفاظ الغريبة، ولا ريب في أن ذلك يرتبط مباشرة بالبيئة الجاهلية وما فيها من معطيات، لم يستطع سلامة، ولا غيره أن يكون بمنأى عنها.

وفي قصيدة أخرى، تراه يقف على الأطلال، ويشبّهها بالكتاب

---

(١) الروامس: الرياح التي تأتي بالتراب فدفن كل شيء. الأخلاق: جمع الخلق: البالي. والمهرَق: الصحيفة.
(٢) تنأى: تبعد. النّوى: النية.

المنمّق الموشّى المزدان، الذي أحسن كاتبه تحسينه وتدبيجه:

لمـــن طلـــلٌ، مثـــلُ الكتـــاب المنمّـــقَ
خـــلا عهـــدُه بيـــن الصُّليـــب فمطـــرِقِ[1]

أكـــبَّ عليـــه كـــاتـــبٌ بـــدواتـــه
وحـــادثـــه فـــي العيـــن جـــدِّةُ مُهـــرَقِ[2]

وهي أطلال أسماء، التي تشبه الظبية التي مدّت عنقها، يقف الشاعر على هذه الرسوم ويخاطبها فليس من يرد جواباً، فذُهل لشدّة ما أصابه من الحزن، وكأنَّه سكران:

وقفـــتُ بهـــا مـــا إن تُبيـــنُ لســـائـــلٍ
وهـــل تفقـــه الصُّـــم الخـــوالـــدُ منطقـــي

فبـــتُّ كـــأنَّ الكـــأسَ طـــال اعتيـــادُهـــا
علـــيَّ بصـــافٍ مـــن رحيـــقٍ مُـــروّقِ

وإنَّها رسوم قد غاب أهلها عنها حولاً أو أحوالاً، وها هي خالية الآن وقد بدت كثوب يماني ممزّق، وبما أنَّها خلت من كل أنيس فماذا ينتفع الباكي عليها؟.

ومـــاذا تبكـــي مـــن رســـومٍ مُحيلـــةٍ
خـــلاءٍ كسَحَـــقِ اليُمنـــة المتمـــزّقِ[3]

---

(١) ديوان سلامة: ١٥٣. الصُّليب ومطرق: موضعان. والقصيدة في الأصمعيات ١٣٢.

(٢) المهرق: الصحيفة. الجُدّة: الخطة التي في ظهر الحمار.

(٣) السحق: الثوب البالي. اليُمنة: الثوب اليماني.

والشبه، لا شكَّ واضحٌ بين الموقفين: موقف الشَّاعر على رسوم الحارثية، وموقف امرىء القيس، وقد سبق هذا الأخير في التعبير عن عدم جدوى الدموع.

وقد يرفض البكاء على الأحبّة، مع شدّة الشوق، فيقف صامداً عندما رحلوا:

لـــو كنـــتُ أبكـــي للحُمـــولِ لشـــاقنـــي
لليلـــى، بـــأعلـــى الـــواديـــن، حمـــولُ[1]

ولكنَّه ينتقل إلى وصف النساء والتغزُّل، فيذكر الأوانس الطيِّبات البيض، اللواتي يقلّ مثلهنّ، وهنَّ يشبهن الظباء وقد تدلّت أغصان الأشجار من فوقهنّ:

يشبّهها الرائي مهاً بصَريمةٍ　　　عليهن فَينانُ الغصونِ ظليلُ[2].

وصف الخيل:

يكاد يجمع الذين ترجموا لسلامة، على أنَّه من البارعين المتفوِّقين في وصف الخيل، وإن كان هنالك من سبقه إلى ذلك كالنابغة الجعدي الذي اشتهر بدوره في وصف الخيل، إذاً كان الموضوع يثير اهتمام الجاهليّين لأن الحصان لم يكن وسيلة نقل وحسب، بل هو أعظم وأهمّ، فالشاعر الجاهلي يرى فيه الرفيق والصديق والشريك

---

(١) ديوان سلامة: ١٨٦.

(٢) صريمة: اسم موضع. فينان: ما تهدَّل من الأغصان.

في الحرب والسلم، في الصحراء وفي أي مكان، لذلك أكثروا من ذكره وتغنّوا بجميل صفاته، وخصوصاً تلك التي تدلُّ على قوّته وشدّة احتماله في ساحات الحرب، فكما أنَّ الجاهليّين تغنّوا بالفضائل الإنسانية المرتبطة بقانون القوّة كالشجاعة والكرم ونجدة الملهوف، ربطوا أيضاً فضائل الخيل بالقانون نفسه، فأهمّ صفات الخيل عندهم تلك التي تبرز في الأوقات العصيبة حيث يُعتمد عليه في المعركة، ومن أجل ذلك، ذهب كثير منهم إلى حد تأليف الكتب والأبحاث في فضائل الخيل وصفاتها كأبي زيد والأصمعي. قال[1] سلامة يذكر الخيل:

والعـاديـاتُ، أسـابـيُّ الـدمـاء بهـا
كـأنَّ أعنـاقهـا أنصـابُ تَـرجيـب[2]

مـن كـل حـتّ إذا مـا ابتـلّ مُلبَـدُه
ضـافـي السبيـبِ، أسيـلِ الخـدِّ يعبـوب[3]

فالخيول تبدو والدماء عليها، تلطِّخ الدماء أجسادها وكأنَّ أعناقها أنصاب وضعت ليذبح عليها، وفي ذلك إشارة إلى مجالدتها واحتمالها الأذى والمشقّات والأهوال. وهذه الخيول سريعة لا تُجارى خصوصاً، وقد ابتلّ ملبد كل منها بالعرق، ويخصّ ذلك

---

(١) ديوانه: ٩٦.

(٢) العاديات: الخيل. أسابي: جمع إسباءة وهو الدم المراق. الأنصاب: جمع النصب وهو الحجارة التي تنصب ليذبح عليها، أو النصب الذي يعبدونه.

(٣) فرس حت: فرس سريع شديد. مُلبده: موضع لِبده. ضافي السبيب: طويل الشعر. أسيل الخد: طويل الخد. يعبوب: كثير الجري.

الحصان الذي لم يكن أقنى أي لم يكن في أنفه حدة، وناصيته قليلة الشعر، وغذاؤه كان جيّداً، لذا تجده ثميناً ممتلئاً غير مهزول، وهو يسقى اللبن دون غيره:

ليس بأقنى، ولا أسفى، ولا سَغِلٍ
يُسقى دواءَ قَفِيِّ السّكنِ مربوبِ[1]

في كلِّ قائمةٍ منه، إذا اندفعتْ
منه، أساوٍ كفرغِ الدّلوِ، أثعوبِ[2]

وهكذا، إذا اندفع هذا الفرس، فإنَّ في كل قائمة من قوائمه، فنون من الجري وكأنَّها دلو فيها ماء وأفرغت فانساح الماء في الأرض.

ولا يلبث بعد ذلك، أن يشبِّه الفرس بالراعي الجافي الذي نام عن غنمه ليلاً فهاجمتها الذئاب فهبَّ مذعوراً، من النوم، وهو مضرّج بالدماء، دماء الوحش، لأنها تُصاد عليه. أمّا الصدر فهو ضيِّق صلب شديد مخضّب بدماء الوحش التي صيدت عليه:

تم الدسيعُ إلى هادٍ له تبعٍ
في جؤجؤٍ، كمداك الطِّيب مخضوبِ[3]

---

(١) أقنى: في أنفه حِدة. أسفى: خفيف شعر الناصية. سَغِل: مهزول، القفي: الذي يُسقى اللبن. السكْن: أهل البيت.

(٢) أساوي: دفعات من الجري. فرغ الدلو: مهراق الماء منها. أثعوب: سائل مندفع.

(٣) ديوان سلامة: ١٠٤. الدسيع: العنق. الجؤجؤ: الصدر. الهادي: الصدر. المداك: الصلاية. التَبَع: طول العُنُق.

والخيل التي يتحدَّث عنها، تشارك في القتال، وتتجاوب مع الفرسان، فكأنَّها تدافع عنهم، لأنها جياد كريمة تسبق غيرها، فيتقدَّم فرسانها إلى أرض الوغى، وينجو بواسطتها الفارس الذي وقع في شدّة، وبذلك تردّ عنه فرسه القتل، وتدفع عنه الأذى، قال:

مِمّا يقدّمُ في الهيجا، إذا كُرِهَتْ
عندَ الطّعانِ، وينجي كلّ مكروبِ

ولهذا الفرس ضروب من الجري، فهو يعدوه إذا أراد عدوّاً شديداً أو هو يقرِّب أي يعدو بأدنى من الجري وفوق الخبب، قال:

تظاهَرَ النيُّ فيه، فهو محتفلٌ
يُعطي أساهيَّ، من جريٍ وتقريب[1]

وإنَّه ليطاول الحمر الوحشية حتى يبلغها فيصيدها، فهو يعاديها عندما تكون متمكِّنة من العشب والحشيش، لأنها تكون عندئذٍ سمينة وقويّة ولمّا تذهب عنها خضرة الرُّطب، قال:

يحاضر الجُونَ مخضرّاً جحافلها
ويسبق الألف عفواً غيرَ مضروبِ[2]

يتجاوز الشاعر وصف الفرس وصفاً ماديّاً، إلى ما هو أعظم، فهي تلعب دوراً في تقرير مصير المشاركين في الحرب والمتنازعين على

---

(١) النيّ: الشحم. الأساهي: ضروب من الجري. محتفل: سريع، أو كثير الشحم.

(٢) الإحضار: ضرب من العدو. الجُون من الإبل والخيل: الأدهم. الجحافل: جمع الجحفَلة: بمنزلة الشفة للخيل والحمير والبغال.

مال أو غيره، فرُبَّ فقير يتحوَّل إلى غني بواسطتها، أو غنيٍّ يُسلَب مالَهُ، ويصير فقيراً لا يلوي على شيء.

قال:

كـــم مـــن فقيـــرٍ، بـــإذن الله، قـــد جبـــرتَ
وذي غِنـــــىً بـــــوّأتـــــه دارَ محـــــروبِ[1]

أراد الشاعر، فيما أراد من خلال هذا البيت أن يشير إلى الأحوال السائدة في عصره بما يتعلّق بالغزو والسلب والنهب، والغارات الدائمة التي تستخدم فيها الخيول، وتتمخَّض الحروب والغزوات عن مكاسب وغنائم، فيثري الفقير المغير ويفتقر الذي تعرّض إلى الغزو، وهكذا فالحصان عندهم وسيلة فاعلة وأساسية في الدفاع عن القبيلة وفي الغارات والحروب والسفر والانتقال، ويساهم في تغيير الفروق الطبقية. أمّا قوله «بإذن الله» فتعني أنه كان يرى أن ما يحدث من الحوادث، ليس يجري بما يريده الإنسان، لأنَّ الأمر في النهاية إلى الله يفعل ما يشاء، ومثل هذه الصورة ليست جديدة في الشعر الجاهلي، فكثيرون ذكروا الله تعالى، وصرّحوا بوجود اليوم الآخر والحساب والعقاب، فذاك زهير قال[2] ينهى عن الغدر:

فـــلا تكتمُـــنَ الله مـــا فـــي نفـــوسكـــم
ليخفـــى ومهمـــا يكتـــم الله يعلـــم

(١) الديوان: ١٠٧. بوأته: أنزلته. جبرته: أعناته. محروب: مسلوب.
(٢) المعلّقات السبع: ٨١.

فهو يعترف بأنَّ الله يعلم ما في الصدور، لذلك على النّاس أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع ربِّهم فلا يكذبون. وليس في ذلك دليل على أنَّ هؤلاء الناس قد عرفوا دين التوحيد أو الحنيفية دين ابرهيم عليه الصلاة والسلام، معرفة يقينيّة.

وللحصان دوره في تقرير المصير، وتحديد نتائج المعركة، لذلك فإن حصانه من الجياد السريعة، يتقدّم إلى المعركة الحامية فينجو بفارسه عند اشتداد القتال، ويمنعه من الموت:

مما يُقَدِّمُ في الهيجا، إذا كُرِهت
عِندَ الطِّعانِ ويُنجي كلَّ مكروبِ[1]

وعندما يدعو الداعي فإن الشاعر يشدُّ الرحال على ناقة سريعة، ويُسرج الفرس الجرداء الطويلة ويهبّ إلى نجدة الملهوف. وفي ما يقارب هذا المعنى يقول[2]:

ومنحتُهُم نفسي، وآمنةَ الشّظَى جرداءَ، ذات كريهةٍ ونِزاقِ
كالصَّعْدةِ الجرداءِ، آمَن خَوْفها
لطفُ الدواءِ، وأكرم الأعراقِ[3]

إنَّه يتوجَّه نحو العدو على فرس قوية طويلة ضامرة، يعتمد عليها الفارس، ويطمئنّ لها، لأنها غُذِّيت أحسن غذاء، وهي من أصل كريم، وهي في البيت التالي تسابق الجياد فتسبق ولا يبدو عليها الإجهاد:

---

(١) الديوان: ١٠٨.

(٢) الديوان: ١٤٨. الشّظَى: عظم لاصق بالرسغ. النزاق: أول جريها.

(٣) الصعدة: القناة الجرداء: الملساء لا شعر عليها.

تشـــأى الجيـــادَ فيعتـــرفـــن لشـــأوهـــا
وإذا شَـــأَوا لحقَـــتْ بحســـنِ لَحـــاقِ[1]

وها نحن أمام صورة فريدة في صحراء قاحلة، صورة خباء يهتزّ، وتتلاعب به الريح، كما يهتزّ مُهر مشدود برباطه، إذا رأى خيولاً بعيدة فهيَّجته. فالشاعر من خلال هذا التشبيه، يبدو خبيراً بصفات الخيل، صغارها وكبارها، وطبائعها وتصرفاتها، في الأماكن المختلفة، وفي كل مناسبة، في الحرب أو السلم، في الفلوات أو في الجبال والوديان. وهو مع كل ما تقدّم يحسن الملاءمة بين صفات الفرس وما يقابلها في الفارس، فبمقدار ما يكون الفارس مقداماً شجاعاً، تكون الفرس قوية سريعة تتحلّى بأصالة نادرة، قال:

كـــأنّ المـــذاكـــي، حيـــن جَـــدّ جميعُنـــا
رعيـــلُ وُعـــولٍ، خلفهُـــن وُعـــولُ[2]
عليهـــنّ أولادُ المُقـــاعِـــس قُـــرّحـــاً
عنـــاجيـــجُ، فـــي حُـــوٍّ لهـــنَّ صهيـــلُ[3]

فهو يشبِّه الخيول، وعليها الفرسان من قوم الشاعر، برعيل الوعول وهي خيول كريمة حُوّ تتراوح ألوانها بين الأسود والأخضر.

---

(١) تشأى: تسبق.
(٢) الأبيات في الديوان: ١٩١. المذاكي من الخيل: ما أتى عليها بعد قُروحها سنة أو سنتان. الرعيل: الجماعة من الخيل أو البقر.
(٣) المقاعس: من أجداد سلامة. قُرّح: جمع قارح: فرس انتهت أسنانه. العناجيج، من الخيل: الجياد.

وينال الفرسان حظّهم من الوصف حيث يحتدم القتال، فيبدو أحدهم وقد تخضّب بالدماء حتى سالت طريّة، على بدنه كما طال أثرها فرسه، وهي لا تكاد تخرج من وسط المعركة لتتفادى الموت حتى تعود إليها مرّة أخرى قال:

كأنّ على فرسانها نَضْخَ عندمٍ   نجيعٌ ومِسكٌ بالنحورِ يسيلُ[1]

إذا خرجت من غمرة الموت ردّها
إلى الموت، صعبُ الحافتَينِ ظَليلُ

ويلتقي الشاعر في هذا المعنى بعامر بن الطفيل حيث يكثر من حديثه عن الفروسية والبطولة كقوله[2]:

وما رِمتُ حتّى بلَّ نحريْ وصدرَه
نجيعٌ كهُدّاب الدِمقس المسيَّرِ

وممّا اهتمَّ به سلامة السلاح، شأنه في ذلك شأن الفرسان جميعاً، فوصفه، وتحدّث عن مضاء أسلحته وحسن فعلها لحدّتها، قال[3] يصف الرّماح:

سوّى الثِّقافُ قَناها، فهي مُحكمةٌ
قليلةُ الزَّيغ، مِن سَنٍّ وتَركيبِ[4]

---

(١) النضخ: الفَوَران. العَندم: دم الأخوين. النجيع: الدم الطري.

(٢) ديوانه: ٦٥ ما رِمت: أراد: ما برحتُ. والدمقس: الحرير. المسيّر: المخطط.

(٣) الديوان: ١١١.

(٤) الثّقاف: الخشبة التي يُقوم بها القِنا. الزيغ: الاعوجاج. السّن: التحديد.

كـــأنّهـــا بـــأكـــفّ القـــوم إذا لحقـــوا
مـــواتـــحُ البئـــر أو أشطـــانُ مطلـــوبِ[1]

هي، إذاً، رماحٌ قد أُحكمتْ صنعتُها، لا تزيغ أبداً، لحُسن سَنّهَا وجودة تركيب نصالها، حتّى لتبدو، وهي في أيدي القوم وكأنّها حبال بئر بعيدة القعر. وإنها قد جعلت الأعداء يذهبون ويفرّون ليتّقوها سواء كانوا من أعالي نجد أو من أسافلها:

كِلا الفريقين: أعلاهُم وأسفلَهم شجٍ بأرماحنا غيرَ التكاذيبِ[2]

وتناول الدُّروع، فهي دروعٌ بيض طويلة تشبه الجداول التي يترقرق فيها الماء، وهي تنتسب إلى داود عليه السلام، لجودتها، وإلى مُحرَّق اللخمي، قال:

لبسوا من الماذيّ كلَّ مُناضَةٍ كالنّهي يوم رياحِه الرقراق[3]
مـــن نســـج داود وآل مُحـــرَّق غـــالٍ غـــرَائبهُـــنَّ فـــي الآفـــاقِ

وهي مَحكَمة في صناعتها فيها مسامير تشبه حبّ الأبلم، ويتداخل زردها بعضه ببعض، فتبدو لامعةً، قال:

مُـــداخَلـــةٍ مِـــن نســـجِ داودَ، سكُّهـــا
كحـــبِّ الجَنـــى، مـــن أبلَـــمٍ مُتفلِّـــقِ[4]

---

(١) المواتح: البكرات. أشطان: جمع شَطَن: حبل. مطلوب: ماء لبني كلاب.
(٢) الديوان: ١١٣. الشجي: المشغول. وشجيَ عنه: ذهب. أشجاه: غلبه.
(٣) الديوان: ١٤٧. الماذي: الدِّرع الليِّنة أو البيضاء. النهي: الغدير.
(٤) السَّك: إدخال المسامير في الخروق. الجنى: ما يُجنى من الثمر. أبلم: نبات.

أمّا السيف فلم يكن أقل شأناً من الرمح فهو الرفيق الدائم للفارس المحارب:

إذا الهُنـدوانيّـات كُـنَّ عُصينـا بهـا نتـآيـا كـلَّ شـأن ومَفـرقِ[1]

إلاَّ أنّه، مع ذكره السيوف، قد أجاد في وصف الرِّماح أكثر فانظر إلى قوله:

زُرقـاً أسنّتُهـا، حُمـراً، مثقفـةً أطـرافُهـنَّ مَقيـلٌ لليعـاسيـبِ[2]

فالأسنَّة التي يتحدَّث عنها، زَرقاء لصفائها يخالط لونها حُمرة لكثرة ما علق عليها من الدماء، فصارت تحطّ عليها اليعاسيب، وقد جمع الشاعر في البيت معنى الشجاعة والإقدام في الحرب، إلى معنى الجودة في السلاح ومضائه.

وقد أحسن سلامة في وصف الفرسان إذ شبّه بيض الحديد ببيض النعام من حيث الاستدارة فقال:

كـأنّ النعـامَ بـاضَ فـوقَ رؤوسِهـمْ وأعينُهـم، تحـت الحـديـد، جـواحـمُ[3]

---

(١) الديوان: ١٨٠. الهندوانيات: جمع الهندواني: السيف المنسوب إلى الهند. نتآيا: نقصد. الشأن: شَعب الرأس. المفرق: موضع افتراق الشعر من الرأس.

(٢) يعاسيب: جمع يعسوب: سَيِّد، وأراد باليعسوب طيراً صغيراً يقع على الأسنة. الديوان: ٢٣٠.

(٣) جواحم: جمع جحماء. والأجحم: الشديد حُمرة العينين مع سعتهما.

الفخر والحماسة

ارتبط الفخر في الجاهلية، بطبيعة الحياة البدويّة القائمة على العنف وتحكيم القوّة، فكلما ازدادت ضراوة الصراع القبلي، اشتدّ صخب الشعراء، لأنهم كانوا يمثّلون قبائلهم ويذودون عنها في ثلب خصومها وفي التفاخر بمآثرها. وتفاخر الشاعر الفارس بنفسه جزء من هذه الدائرة لأن الفرد نفسه لا ينفصل عن قومه، في الغايات والأهداف والأساليب. وقد تفاخر الجاهليُون بكل ما من شأنه أن يرفع من منزلة الإنسان ممّا كان يُعدُّ قديماً من المآثر. ولو تتبَّعنا تلك المآثر لوجدناها جميعاً خاضعة لقوانين اجتماعية وعسكرية اقتضتها حياة البدوي المرتبطة بقانون القوّة، من هنا فخروا بالشجاعة، والبطولة، ونجدة الملهوف، وبكثرة العدد ووفرة الأموال. كل ذلك عدّه الجاهليون من الفضائل لأنها ترتبط بوجودهم وبقائهم، إذاً هي مسألة حياة أو موت، فلا ترى، نتيجة لذلك، شاعراً فارساً إلاّ وتفاخر من قريب أو من بعيد. وهذا هو سلامة يعتزّ بقومه يوم النزال، بأنهم يعفون عن الذين يلقون السلاح ويمتنعون عن الحرب، أمّا من أصرَّ على القتال فمصيره الموت قال[1]:

فمن يك ذا ثوبٍ تنلْهُ رماحُنا
ومَنْ يك عُرياناً يُوائلْ، فيسبقِ

ويشير الشاعر إلى طريقة التعامل مع الأسرى، فالرئيس منهم إمّا أن يُفتدى بالمال، وإمّا أن يعيش بائساً مُهاناً، على خلاف الأسير

---

(١) الديوان: ١٧٤. يوائل: يطلب النجاة.

الوضيع الذي لا يُفتدى بمال كثير، فإنَّهم يطلقونه دون فداء قال[1]:

ومَنْ يَدَعُوا فينا يعاشُ ببئيسةٍ ومَنْ لا يُغالُوا بالرغائب نُعتِقِ

وفي معرض الفخر، والحديث عن البطولات الحربيّة، يذكر الشاعر في القصيدة ذاتها ردّ فعل الأمّهات في الجاهلية إذا فقدن عزيزاً من الأولاد، قال[2]:

وأمٌّ بَحيـــر فـــي تمـــارُس بيننـــا
متـى تـأتِهـا الأنبـاء تخمـشْ، وتحلِـقِ[3]

فهي تخمش وجهها وتحلق شعرها وتندب، شأنها في ذلك شأن نساء القوم جميعاً.

والشاعر وقومه لا يتركون الفرصة لعدوٌ كي ينهزم من أرض المعركة، وإذا حصل ذلك فلِعلّةٍ ما كأن يفرّ تحت جنح الظلام.

ولـــولا ســـوادُ الليـــل، مـــا آبَ عـــامـــرٌ
إلـــى جعفـــر ســـربـــالُـــهُ لـــم يُخـــرَّقِ[4]

وعندما تحتدم المعركة، تجد الطيور تتهافت على جُثث القتلى، قال:

---

(١) الديوان: ١٧٤.

(٢) الديوان: ١٧٥.

(٣) بحير هو ابن عبد الله بن سلمة الخير القشيري، قُتل يوم المرُّوت.

(٤) الديوان: ١٧٦، والسربال: القميص. آب: عاد.

بضـــربٍ، تظـــلُّ الطّيــرُ فيـــه جــوانحـــا
وطعـــنٍ كـــأفـــواه المـــزادِ المفتّـــقِ[1]

وهـم أعـزّة، وعـزّتهـم لا تُجـارى وتضيـق عنهـا الشّعـاب، وهـي كصحراء واسعة فيها بحر لجي يغرق فيه السّابح الماهر الحاذق، وأمواجه تتلاعب بالزورق فترفعه وتخفضه فلا يثبت. وهذه العزّة التي يتحدَّث عنها هي جزء من مجد معد، وبذلك فإنَّ بني تميم ـ قوم الشاعر ـ على حدِّ زعمه قد سبقوا القبائل العدنانية شرفاً.

قال:

فعـزّتنـا ليسـتْ بشعـبٍ بحـرّةٍ ولكنهـا بحـرٌ بصحـراء فَيْهَـقِ[2]
يُقمِّـــص بـــالبـــوصـــي فيـــه غـــواربٌ
متـــى مـــا يخضهـــا مـــاهـــر اللـــجّ يغـــرق[3]
ومجـدُ مَعَـدٍّ كـان فـوق عَـلايـةٍ سبقنا به إذ يرتقون ونَرتقي[4]

وفي يوم جدود قال[5] مفاخراً:

ومَـنْ كـان لا تُعتـدُّ أيّـامُـه لـه فـأيّـامنـا عنّـا تُجلِّـي، وتُعـرِبُ

---

(١) الديوان: ١٧٧. المزادة: وعاء الماء من أدم.
(٢) الشِّعب: الطريق في الجبل. فيهق: واسعة.
(٣) يقمّص: يرفع ويخفض. البوصي: الزورق. الغوارب: الأمواج.
(٤) العلاية: المرتفع من الأرض.
(٥) الديوان: ٢١٢. واليوم المذكور كان لبني منقر على الحوفزان الشيباني، والحوفزان هو الحارث بن شريك. القصيرة

فهي تُعرب عمّا تحقّق من انتصارات في ذلك اليوم حيث قتلوا شهاب بن جَحدر من بني قيس، واستطاع الحارث الشيباني أن يفرّ، وكان قائداً لقومه قال:

غــداةَ تــركنــا فــي الغُبــار ابــن جحــدرٍ
صــريعــاً، وأطــرافِ العــوالــي تصبَّــبُ
وأفلَــتَ منّــا الحــوفــزانُ، كــأنَّــه
بــرَهــوةَ قَــرْنٌ أفلَــتَ الخيــلَ أعضــبُ[1]

وفي قصيدة أخرى، يشير إلى أنَّه لا يبكي على النساء وفراقهنّ، خصوصاً إذا كان في الحرب، فهو يتماسك أمام نداءات القلب ولا تزعزعه الأشواق قال:

لــو كنــتُ أبكــي للحُمــول لشــاقنــي
لليلــى، بــأعلــى الــواديــن حُمُــولُ[2]

وينتقل إلى التنويه بمآثر صحبه ومكارمهم وصمودهم حيث يشتدّ الكرب ويعظم الأمر، فهم جمعوا الشجاعة إلى كرم النفس وحسن الطوية قال:

وفتيــانِ صــدقٍ، قــد بنيــتُ عليهــم
خبــاءً، بمــومــاة الفــلاةِ، يجــولُ[3]

---

(١) رهوة: جبل. وأراد بالأعضب: الثور مكسور القرن. والمعنى أن الحوفزان فرّ ناجياً بنفسه قاصداً جبل رهوة، وكأنّه ثور نجا من مطارديه وقد كسر قرنه.
(٢) الديوان: ١٨٦، حمول: جمع حمل وأراد الهودج. الواديان موضع، كان فيه يوم بين بني ربيعة من عامر وبني كعب من سعد قوم الشاعر.
(٣) الموماة: المفازة لا ماء فيها ولا أنيس.

تــــلاقــــت بَنـــو كعـــبٍ وأفنـــاء مـــالـــك
بـــأمـــر كصـــدر السيـــف، وهـــو جليـــل
فمـــا تـــركـــوا فـــي عـــامـــرٍ مـــن مُنَـــوِّهٍ
ولا نســـــوةٍ، إلاّ لَهـــــنّ عـــــويـــــلُ(١)

وتبلغ نشوة النصر ذروتها عندما يُقتل بَحير بن عبد الله، وكان من القوّاد الفرسان وقُتل يوم المرُّوت، يُسجِّل سلامة ذلك الحدث فاخراً بأنَّهم تركوا بحيراً ومعه رجل آخر طعاماً للطيور، فقال:

تركنَ بحيراً والذُّهاب، عليهما من الطير غاياتٌ، لهُنَّ حجولُ

وهكذا فإنَّنا نلمح في فخر سلامة صورة البادية، بجانبها الخشن الذي يصطبغ بلون الدماء، والذي يغطِّي الغبار أجواءه، ويملأ الصخبُ القيعان والفلوات، لكثرة ما شهدته من معارك وأيّام ومواقع، عرض الشاعر بعضها كيوم جدود ويوم المرّوت وغيرهما. وقد مزج في فخره بين الحديث عن الفروسية والبطولة وبين المكارم الأخلاقيّة كالعفو عن الضعفاء من الأسرى، والعفو عن كل مَن يلقي السلاح، وهذه مأثرة عربية يحسن التنويه بها، لأن العفو، في الحالين، من شِيَم الكرام. وقد وازن الشاعر بين نزعتين: نزعة فردية تتمثَّل في حديثه عن نفسه ومنجزاته، ونزعة قبلية، تبدو من خلال الحديث بصيغة الجماعة عمّا تحقَّق في المعارك المختلفة: (تلاقت

---

(١) المنوِّه: الذي يمدح غيره بصوت عالٍ.

بنو كعب . . . ، وفتيان صدق . . . ، عليهن أولاد المقاعس)[١]، وكذلك قوله[٢]:

إنـــي امـــرؤ مـــن عُصبـــةٍ سعـــديّـــةٍ
ذَربـــى الأسنّـــةِ كُـــلَّ يـــوم تـــلاقـــي

ويستشهد الخيل على ما يقوم به من أعمال قتل وتنكيل بالأعَداء حيث تبتلّ نحورها بالدماء، يقول:

والخيلُ تعلم من يبلُّ نُحورَها بدمٍ، كماءِ العندمِ المُهراقِ[٣]

ولعل أفضل أبيات تمثّل المعاني الفخرية جميعاً، هي تلك الواردة في بائيته حيث يفاخر بنفسه وبقبيلته بني سعد، فيذكر جوده وجود قبيلته، ويعتزّ بهم في السلم والحرب، ويعرِّض بأعدائها من مَعدّ حيث حاولوا النيل من قومه فردُّوا على أعقابهم بالقوّة. أمّا أبناء قبيلته فهم فتيان حرب، لا يمنعهم من خوضها شيء، وبنو سعد عموماً مفَضّلون، وذلك أمر طبيعي، إذ إنّهم ينتسبون إلى تميم، وهم جمعوا عزّ الانتساب والحَسَب، والكرَم منازلَهم مفتوحة دائماً لكل محتاج، ويعينهم في الشدائد صبر وعزم، قال[٤]:

همّـــتْ مَعَـــدٌّ بنـــا همّـــاً فنهنههـــا
عنّـــا طعـــانٌ وضـــرْبٌ غيـــرُ تـــذبيـــب[٥]

(١) المقاعس: جدّ لسلامة.
(٢) الديوان: ١٥١. وقوله: ذَربى الأسنّة أي محدّدة. والذُّراب: السم.
(٣) الديوان: ١٥٢. العندم: دم الأخوين.
(٤) المفضليات: ١١٩. والديوان: ٨٧ وما بعد.
(٥) نهنهها: كفّها. التذبيب: الدفع والمنع.

إنَّـــا إذا غـــربـــت شمـــسٌ أو ارتفعـــت

وفـــي مبـــاركهـــا بُـــزلُ المصـــاعيـــبِ[1]

قـــد يسعـــد الجـــار والضيـــف الغـــريـــب بنـــا

والسّـــائلـــون ونُغلـــي مَيسِـــر النيـــب[2]

إنِّـــي وجـــدتُ بنـــي سعـــدٍ يفضِّلهـــم

كـــلُّ شهـــابٍ علـــى الأَعـــداء مشبـــوبِ

إلـــى تميـــمِ حمـــاةِ العـــزِّ نسبتُهُـــم

وكـــلُّ ذي حَسَـــبٍ فـــي النـــاسِ منســـوب

ينجّيهـــم مـــن دواهـــي الشّـــرّ إن أزمَـــتْ

صبـــرٌ عليهـــا وقِبـــصٌ غيـــر محســـوب[3]

كنَّـــا إذا أتـــانـــا صـــارخٌ فَـــزِعٌ

كـــان الصـــراخ لـــه قـــرعَ الظنـــابيـــب[4]

المدح

قد احتلَّ هذا الفن حيِّزاً كبيراً في دواوين الشعراء الجاهليِّين فعبّر كثير منهم عن إعجابهم بالأفعال الكريمة، والخصال الحميدة في شخصية الممدوح، وأظهروا من العواطف الصادقة ما يدلُّ على حسن تقديرهم لتلك الفعال، انطلاقاً من المعايير الأخلاقية التي كانت

---

(١) المصاعيب: جمع المصعب وهو الفحل من الإبل.

(٢) نغلي: نبيع بثمن غال. النيب: النوق.

(٣) القِبص: العدد الكثير.

(٤) الظنبوب: حرف عظم الساق. يقال: قرع ظنبوبه لهذا الأمر: أي عزم عليه.

تحكم ذلك المجتمع، كالكرم والعطاء، والشجاعة وحسن الضيافة، ونجدة الملهوف، فهذه المقاييس هي نفسها التي تفاخروا بها، فلم يجدوا في مَن يمدحونه غيرها. أمّا البعض الآخر، فقد مدحوا بُغية الكسب الماديّ، ولتحقيق مصالح ومنافع أخرى يستطيع أن يقدمها الممدوح إلى الشاعر، وسيطر على هذا النوع من المدح عاطفة تترجّح بين الحرارة والضعف، ويطغى التكلُّف على هذا النوع من المدح. ومن شعراء المدح الصادقين زهير بن أبي سُلمى، خصوصاً في مدحه للهرم بن سنان، ومن المتكسِّبين النابغة الذبياني.

ومن خلال الديوان الذي بين أيدينا، يبدو أنَّ سلامة لم يمدح إلاّ مدحاً صادقاً، وذلك مرّة واحدة حيث وقع أخوه أحمر بن جندل أسيراً لدى صعصعة بن محمود بن عمرو بن مَرثد، فقال عند ذاك أبياتاً مدح فيها صعصعة وحثّه فيها على إطلاق أخيه، وقد حقَّق بُغيته. والأبيات، على قلّة عددها، تُعدُّ من الأبيات الرائعة من حيث قوّتها، ومن حيث صدقها وتأثيرها:

سـأجـزيـك بـالقـدّ الـذي قـد فككتـه
سـأجـزيـك مـا أبليتنـا العـامَ، صعصعـا
فـإن يـك محمـودٌ أبـاك فـإنَّنـا
وجـدنـاك منسـوبـاً إلـى الخيـر أروعـا
سـأهـدي وإن كنّـا بتثليـث مـدحـةً
إليـك، وإن حلّـت بيـوتُـكَ لعلعـا[1]

---

(١) تثليث ولعلع: موضعان.

فـــإن شئـــتَ أهـــدينـــا ثنـــاءً ومِـــدحـــةً
وإنْ شئـــتَ عـــدينـــا لكـــم مئـــة معـــاً[1]

المرأة والخمرة

احتلّت المرأة وكذلك الخمرة مكاناً بارزاً في شعر الجاهليّين، وإذا كان الميل نحو المرأة ميلاً فطريّاً، قد وُجد في عمق الرجل، فإنّ المرأة تعني، ومنذ زمن بعيد، العطاء والعطف والحب والمتعة والسعادة، والجاهليُّون قد تعاطوا معها على هذه الأسس، ولو أنّهم عدلوا عن الصواب أحياناً في تعاملهم. وكذلك الخمرة، فإنَّها كانت تغريهم بما تسلبه من عقولهم فيتوهَّمون أشياء لا وجود لها من الفرح والسعادة والتحليق عالياً في عالم الخيالات، ويرتبط ذلك الشعور بميل الإنسان، وفي كل عصر، إلى التحرُّر ولو بحدود، من قيود العقل الذي ينظِّم العلاقات الإنسانيّة، ويضبط تصرُّفات الإنسان ويميِّز الصحيح من الفاسد، والخطأ من الصواب، فيه يصير الإنسان مكلفاً مسؤولاً، وهو لذلك كان وما زال يشكِّل عبئاً على كثير من الناس، خصوصاً أولئك الذين اختاروا أن يكونوا عابثين وأرادوا العيش على هامش الحياة. ولكن الأمر لا يطّرد هكذا دائماً، فالخمرة بالنسبة إلى الجاهلي، مع المرأة، كانتا مبعثاً إلى اللذّة والمتعة الحسيّة، بمقابل ما كان يلقاه ذلك الإنسان من مشقّات وصعوبات في كسب عيشه، وفي مكابدته الطبيعة القاسية واحتمال حرّها وجفافها. ففي شرب الخمرة بنظرهم نسيان الماضي القريب وما فيه من معاناة وقتل وسفك

---

(١) وأراد بمئة: مئة من الإبل. والأبيات جميعاً في الديوان: ٢٠٢.

دماء، وكأنّهم غير راضين عمّا اقترفت أيديهم، وهم فعلوه مضطرِّين لا عن قناعة، لو كان هنالك البديل. إنّها الفطرة البشرية التي تأبى القتل وإزهاق الروح، والجاهلي إذ كان يشرب الخمرة، يريد أن ينتقل إلى عالم آخر غير عالمه الواقعي المصطبغ بألوان من العذاب والآلام والأحزان والقبائح ممّا لا ترضاه فطرة سليمة.

ولا تلذّ الخمرة إلاّ مع امرأة فتكتمل بذلك المسرّة وقد عبّر طرفة عن ذلك وأضاف لذّة ثالثة وهي ممارسته لأي عمل من أعمال المروءة والبطولة، فقال[1]:

ولــــولا ثــــلاث هــــنّ مــــن لــــذة الفتــــى
وجــدِّك، لــم أحفِــل متــى قــام عُــوّدي[2]
فمنهــــنّ سبقــــي العــــاذلاتِ بشــــربــــةٍ
كُمَيْــتٍ، متــى مــا تُعَــلَ بــالمــاء تُــزيــد[3]
وكــــرِّي إذا نــــادى المضــــافُ محنّبــــاً
كسيــــد الغضــــا، نبّهتَــــه، المتــــورِّد[4]
وتقصيــر يــوم الــدَّجْــنِ والــدجــن معجــبٌ
ببهكنــــةٍ تحــــت الخبــــاءِ المعمَّــــدِ[5]

---

(١) ديوانه: ٤٥.

(٢) لم أحفِل: لم أهتم.

(٣) العاذلات: اللائمات. الكميت: الأحمر مائل إلى الأسود، وهي من صفات الخمرة.

(٤) التحنيب: السِّيْد: الذئب. الغضا: شجر. المتورد: الذي جاء ليشرب.

(٥) يوم الدجن: اليوم الغائم. البهكنة: المرأة السمينة الحسناء.

ولطالما ذكر الأعشى الخمرة ووصفها من داخل ومن خارج فتناول صفاءها ولونها ومفعولها وهي بالنسبة إليه الداء والدواء، قال[1]:

وكأسٍ شربت على لذّةٍ   وأخرى تداويت منها بها

أمّا سلامة فلم يخرج عن الإطار الذي أشرنا إليه، ولكنّه مزج ما بين موضوع المرأة والخمرة فقال عندما وقف على أطلال أسماء يبكيها وهو يدري أن البكاء لن يجدي نفعاً، ولكن لا بد منه ليخفِّف من آلامه، لأنه صار كالمخمور لا يدري ما يدور من حوله، ولا أراه ذكر الخمرة في غير هذه الأبيات:

وقفتُ بها ما إنْ تبين لسائلٍ
وهل تفقه الصُّم الخوالدُ منطقي
فبتُّ كأنَّ الكأس طال اعتيادها
عليَّ، بصافٍ من رحيق مروَّقِ[2]

ويتخلّص بعد ذلك إلى وصف رائحة الخمرة وهي في الإناء، فهي طيِّبة الريح كرائحة المسك، يحملها غلام حسن خفيف قد شدّ وسطه بنطاق. وقال في بيت مفرد[3]:

---

(١) ديوان الأعشى: ١٧٣.

(٢) ديوانه: ١٥٦. وأراد بالرحيق المروّق: الخمرة المصفاة.

(٣) ديوانه: ٢٣٢. مُسمعة: مغنية. حِفاج: زق كبير ممتلىء مُسند إلى شيء. القار: مادة سوداء تطلى بها السفن كالزفت أو هو نفسه. جون: أسود إلى أحمر.

لنــــــا خبـــــاءٌ وراووقٌ ومُسمعـــــــةٌ

لــــدى حِضـــاجٍ بجـــون القـــار مَـــربـــوبِ

وهـو يكثـر مـن ذكـر أسمـاء في افتتـاحيـات قصـائده، فيتغـزَّل بهـا ويبكي على أطلالها، كما ذكرنا في بداية الفصل. ومن تغزّله بتلك الحبيبة:

ليســـت مـــن الـــزُّل أردافـــاً إذا انصـــرفَـــتْ

ولا القِصــــارِ ولا السُّـــودِ العنـــاكيـــبِ[1]

إذاً هو يصرِّح ببعض صفات الحبيبة، وبالتالي، هي معايير جماليّة تعكس رأيه في حسن المرأة، وكذلك هي تنطبق على عصره عموماً. إلاَّ أنّه يتذكَّر الشيب، فيشير إلى نفور ابنة السعدي منه. فلا مجال لاستمرار العلاقة الغراميّة بعد المشيب على حدٍّ زعمه[2]:

تقـــولُ، حيـــن رأتْ رأســـي ولمّتُـــهُ

شمطــاء، بعـــد بهيـــم اللـــون غـــربيـــب[3]

وللشبـــــابِ إذا دامـــــت بشـــــاشتُـــــه

ودُّ القلـــوبِ مـــن البيـــضِ الـــرعـــابيـــبِ[4]

---

(١) ديوانه: ٢٢٣. والعناكيب: جمع العنكب: المرأة القصيرة. الزُّل: جمع الزَّلاء: المرأة التي لا لحم على مؤخرها.

(٢) ديوانه: ٢٢٤.

(٣) الشمَط: الاختلاط. الغربيب: الشديد السواد.

(٤) الرعابيب: جمع الرعبوبة: الجارية الحسناء الرطبة الحلوة.

وهكذا يربط الشاعر اللّذّة بوقتها، فمع تقدّم الإنسان بالعمر تنصرف عنه النساء، وهو نفسه ينصرف عنهنّ إلى ما هو أنفع وأجدى. وممّا يسعد الشاعر ويطربه قينة تغنّي، بيضاء ناعمة، حسناء تشبه البقرة الوحشية باتّساع عينيها، وأسنانها متباعدة بيضاء، وهي مع كل ذلك عفيفة:

وعندنا قينةٌ بيضاءُ ناعمةٌ
مِثلُ المهاةِ من الحور الخراعيبِ[1]

تَجري السِّواك على غرٍّ مفلّجةٍ لم يغرُها دنَسٌ تحت الجلابيبِ

وهو يبكي على شبابه، ويحنُّ إليه، فبذهابه انقطاع عن اللذّات، ولكن لا شيء يعيد الحياة إلى الوراء فما فات لا يرجع:

أودى الشباب حميداً، ذو التعاجيبِ
أودى، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ

أودى الشباب الذي مجدٌ عواقبُه
فيه نَلَذُّ، ولا لذّاتِ للشيبِ

والشاعر لا يقتصر استمتاعه على معاشرة النساء، في شبابه، بل وللشباب دوره الأعظم الذي ينحصر في أمرين: أحدهما في الوقوف خطيباً في مجالس القوم، والآخر في غزو الأعداء، فالشيخ المسنّ لا يستطيع ذلك.

---

(١) القينة: المغنية. المهاة: البقرة الوحشية. الخراعيب: جمع الخرعوب: الشابة الحسنة القوام الليّنة.

يـــومـــان: يـــومُ مقـــامـــاتٍ وأنـــديـــةٍ،
ويـــومُ سيـــرٍ إلـــى الأعـــداء، تـــأويـــبِ[1]

ويشترك في هذا المعنى مع طرفة كما مرّ، إلاَّ أنَّ طرفة يزيد على ذلك الخمرة.

وفضلاً عن كل ما تقدّم، فإنَّ سلامة، وانطلاقاً من مفهوم العربي الجاهلي في الحفاظ على العِرضِ والشرف المتمثِّلين بالمرأة، يشير إلى أنَّه وقومه قد ناضلوا يوم الفَروق، ضد بني عبس للدفاع عن النساء خوفاً من وقوعهنّ في الأسر فقال[2]:

بـأنّـا منعنـا بـالفَـروق نسـاءَنـا   ونحـن قتلنـا مَـن أتـانـا بمُلـزَقِ

التأمُّل:

وترتبط بتجربته الذاتيّة، من خلال ما رآه وما عاينه من أحداث عصره، وأيامه ومواقعه، وما ثقفه من معمِّري عصره ممّن تيسَّر لهم شيء من عِلم، ولست أدَّعي هنا أنّ سلامة بلغ مبلغ الحكماء، ولكنَّني أردت أن ألفت إلى ما تمتّع به من نظر ثاقب في بعض ما عرضه من تأمّلات، وهي قليلة، من مثل قوله[3]:

---

(١) الأبيات في الديوان: ٨٨ وما بعدها. التأويب: الرجوع.
(٢) ديوانه: ١٥٩. والفَروق: من أيام العرب. مُلزَق: موضع.
(٣) الديوان: ١٨٢. ومثل ذلك قوله: «كم من فقير بإذن الله قد جبرت» ديوانه: ١٠٧.

عجلتـــم علينـــا حجَّتَيـــن عليكـــم
ومـــا يشـــأ الـــرحْمـــنُ يعقـــدْ ويطلـــقِ[1]

هـــو الكـــاســـر العظـــمَ الأميـــن ومـــا يشـــأ
مـــن الأمـــرِ يجمـــع بينـــه ويفـــرِّق

فاللافت أن يرد النصر الذي أحرزه خصومهم لسنتين إلى الله، فهو الذي يصرّف الأمور، ويفعل ما يشاء، وهو الرحمن الذي يجمع ويفرّق، ولا شكَّ في أن الله غالب على أمره، فعّال لما يريد، ولكنّ الوجه المستغرب في استعمال الشاعر للفظة الرحمن من جهة ثم لتسليمه بالمشيئة، فهذان أمران لم نألفهما في الشعر الجاهلي:

ومِن تأمّلاته في الشباب والحياة قوله[2]:

ولّى حثيثاً، وهذا الشيب يطلبُه لو كان يُدركه ركضُ اليعاقيبِ

والذي ولّى وذهب شبابه، وهو لا يستطيع أن يدركه، ولو كان يُدرك بركضٍ كركض الحجال لفعل ولكن ذلك عسير، وفي ما ذهب إليه الشاعر دلالة على شوقه لاستمرار حياة الشباب، وفي الوقت نفسه هو يسلِّم بأن ما فات من عمر الإنسان لن يعود أبداً، وفي ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر ويتّعظ.

وفي الناس والأصحاب يقول[3]:

---

(١) أراد بحِجّتين: سنتين كانتا عليهم، وهو يذكّر بيوم مُلزق ويوم المرُّوت.

(٢) ديوانه: ٨٩.

(٣) الديوان: ٢٢٠.

وشــــرُّ الأخـــلاّء الخَـــذولُ، وخيـــرُهـــم
نصيـــرُك فـــي الـــدَّهيـــاءِ حيـــن تنـــوبُ[1]

خصائصه العامّة

إنَّ شعر سلامة، على قلَّته، بالمقارنة مع غيره من شعراء عصره، صدى لذلك الزمن، حيث يعكس الصورة الحقيقيّة للمجتمع الجاهلي بكل ما فيه من منافرات وصراعات، وقتل وهرج ومرج، وهو يصوِّر حياة اللهو المتمثِّلة بالخمرة، فيذكرها متغزِّلاً بها وبرائحتها ويصف الساقي، ويذكر الغناء والقينة، وهو مع كل ذلك لا ينفكّ يذكر الشباب في معرض الحنين إليه، ولا ينفصل ذلك عن حبّه للحياة وملذّاتها، كما يذكر المرأة ويقف على أطلالها ويذرف الدموع من أجلها، ويتمنَّى رؤيتها ووصالها، ولكنَّها الصحراء بما فيها من أهوال وجفاف تفصل بين الناس وتشتِّت شملهم، وتقضي على أواصر القربى، وتزيد من آلام الناس بتفريقهم.

وإلى ذلك يُعتبر ديوانه من الوثائق التي يُكثر فيها من ذكر الأيّام والمعارك كالفَروق، ومُلزق، والجدود، والمرُّوت، والعُذاب، ووِرد الكُلاب...

كما أنه أكثر من ذكر الحيوانات وأفاض بوصف الخيل منها نظراً للعلاقة الحميمة بينها وبين الناس في الجاهليّة وخصوصاً في

---

(١) الأخلاء: جمع الخليل: الصديق. الخَذول: الذي يتخلَّى عن نصرة صديقه. تنوب: تنزل. والدهياء: الشِّدَّة.

الحرب، وممّا وصف أيضاً الإبل والحمير، وربط في كثير من الأحيان بين بعض أحوالها، وما ينتج عن الحرب، فالإبل تربط وتحبس عند محاربة العدوّ، ولا تترك لتذهب إلى الثغور، ولو كان في حبسها ما يقلّل لبنها، فالحفاظ على الإبل أولى من تركها:

يُقال: محبسها أدنى لمرتعها
ولو تعادى ببكْءٍ كلُّ محلوبِ[1]

وناقته سريعة نشيطة:

أرسلتُ هَوْجاءَ النّجاءِ، كأنَّها
إذْ همَّ أسفَلُ حشوِها بنَفَاق[2]

متخرِّفٌ سَلَبَ الربيعُ رواءَه
صخِبُ الظلامِ، يجيب كلَّ نُهاق[3]

وممّا ذكره الحمر الوحشية والبقر الوحَشي بقوله:

في عانةٍ شُسُبٍ، أشدَّ جحاشَها
شُزُبٍ، كأقواس السَّراء دقاق[4]

---

(١) الديوان: ١٢٨.

(٢) الديوان: ١٣٨. هوجاء: نشيطة سريعة. النهجاء: السرعة. الحشو: الوبر. النِّفاق: سقوط الوبر.

(٣) متخرِّف: أي آكل الخريف. أراد بردائه: الوبر.

(٤) الديوان: ١٤٢. العانة: الجماعة من حمر الوحش. شسب: جمع شاسب أي ضامر. السَّراء: شجر تصنع منه القِسِيّ.

فتــــرى النعـــــاج بهـــــا تمشّـــــى خِلفـــــةً
مَشـــــيَ العبـــــاديّيـــــن فـــــي الأمـــــواقِ[1]

وللطبيعة نصيبها من الوصف، الفلاة، الغبار، الرمال، الشعابَ، الغيوم، الرياح، النباتات وما إلى هنالك. . . :

ومجـرٌّ ساريـةٍ تجـرُّ ذيـولهـا بَـوسَ النَّعـامِ، تُنـاط بـالأعنـاقِ
مِصريّةٍ، نكباءَ أعرض شيمُها بـأُشـابـةٍ، فزَرُودَ، فـالأفـلاقِ[٦]

أمّا ألفاظه، فكانت مستمدّة من واقع بيئته الصحراوية البدوية، فهي بمعظمها خشنة، إلاَّ أنَّها جزلة قوية، بعيدة عن الابتذال، وعباراته واضحة، لا تعقيد فيها، وصوره حسِّيّة مستمدّة ممّا يحيط به تعتمد البساطة في صوغها وتركيبها فانظر تشبيهه للأطلالِ ببقايا الثوب الممزّق:

ومـاذا تبكّي من رسومٍ مُحيلةٍ خَلاءٍ كسحْقِ اليُمنةِ المتمزِّقِ[٣]

ومن تشبيهاته قوله:

---

(١) أراد بالنعاج: الإناث من البقر الوحشي. العباديون: قوم من قبائلَ شتى من العرب. الأمواق: جمع الموق: الخُف الغليظ.

(٢) السارية: سحابة الليل. ذيولها: أراد مآخيرها. تُناط: تعلّق. مصرية: أراد أنَّها سحابة جاءت من مصر. شيمها: مطرها.

(٣) الديوان: ١٥٨. محيلة: أي غاب عنها أهلها. خلاء: أي خالية. السحق: الثوب البالي. اليمنة ضرب من البرود اليمينة.

بضــــربٍ تظـــلُّ الطيـــرُ فيـــه جـــوانحـــاً
وطعـــــن كـــأفـــواه المـــزادِ المفتَّـــقِ[1]

ومن تشبيهاته الرائعة:

كــأنَّ النعـــامَ بـــاضَ فـــوق رؤوسهـــم
بِنَهـــي القـــذافِ أو بِنِهْـــيٍ مُخفَّـــقِ[2]

وقد شبّه البيض على رؤوس الناس ببيض النعام في إملاسه وصفائه. وقوله[3]:

كأنهم كانوا ظباءً بصفصفٍ أفاءت عليهم غبيةٌ ذاتُ مَصْدقِ

ومن روائع تشبيهاته تشبيه سرعة السيف بالقطع كإسراع ريح الجنوب تهبُّ على نبات يابس:

كأن اختلاءَ المشرفيِّ رؤوسَهم هَوِيُّ جَنَوبٍ في يبيسٍ مُحرَّقِ

ومن ذلك تشبيهه لأعناق الخيل بالأنصاب، وذلك إذا سالت الدماء على تلك الأعناق، فإنَّها تبدو وكأنَّها حجارة نصبت ليذبح عليها في رجب:

والعادياتُ، أسابيُّ الدماء بها كأنَّ أعناقَها أنصابُ ترجيبِ[4]

---

(١) جوانح: أراد أنها تدنو إلى الأرض. مزاد: جمع مزادة: وعاء للماء من جلد.
(٢) النهي: الموضع الذي له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه، وقد يكون الغدير.
(٣) الصفصف: الأرض المستوية الملساء. الغبية: الدفعة من المطر. المصدق: الصدق، وأراد القوة.
(٤) العاديات: الخيل. أسابي: جمع إسباءة: دم مراق. أنصاب: جمع نَصب: حجارة يذبحون عليها. الترجيب: من رجب، وأراد التعظيم.

والحديث عن الصور يقودنا إلى التذكير بأنَّ الشعراء الجاهليين عموماً يشتركون في استخدام الحسِّي من الصور لأنَّها قريبة المتناول، وهم بطبعهم يميلون إلى البساطة، سواء في العيش أم في التعبير، فلا يكلِّف أحدهم نفسه عناء البحث عن الصور المعقَّدة، لعدم الحاجة إلى ذلك ولضعف ثقافته في آن معاً، فضلاً عن خشونة الحياة التي لا تسمح بتنمية المتخيّلة كما نرى ذلك فيما بعد من العصور وخصوصاً في زمن العبّاسيين، حيث العمران والزخارف والتقدّم العلمي.

أمّا المبالغات، فنقع على القليل منها في شعره، ولكنه لم يبلغ ما بلغه عنترة أو عمرو بن كلثوم فانظر إلى قوله[1]:

كـأنّ مُنـاخـاً مـن قُيـونٍ، ومنـزلاً
بحيـثُ التقينـا مـن أكُـفٌ، وأسـؤقِ

وأراد أن يصوّر ما أنزله هو وقومه بالأعداء إذ هزموهم وفرّقوا شملهم، وبدا المكان بعد ذلك مملوءاً بالأكفّ والسيقان المقطوعة، وكأنَّ المكانَ خاصة القيون، الذين يعملون السيوف، فكأنّي به أراد أن يشبّه القطع البشريّة بقطع الحديد المتناثرة.

وقوله في وصف قوّة عدوّه:

بـأرعـنَ، كـالطَّـودِ مـن وائـلٍ يـؤمُ الثغـور ويعتـانُهـا[2]

---

(١) الديوان: ١٦٧. القيون: جمع القَين: الحدّاد الذي يصنع السيوف. مُناخ القيون: أراد مكان عملهم.

(٢) الديوان: ٢٥٣. وأراد بالأرعن: جيش العدو المضطرب الكثير. يعتان: يصير لها عيناً.

تكـــادُ لـــه الأرضُ مِـــن رِزِّه إذا سـار، تـرجُـفُ أركـانُهـا[1]

ومن[2] ذلك ما ذكره عن عددهم الكثير الذي يضاهي الحصى:

وإنّـا كـالحصـى عـدداً، وإنّـا بَنـو الحـرب، التـي فيهـا عُـرامُ

أمّا التكرار فيتجلّى في وصف الناقة بأنّها وجناء هوجاء، ويظهر أيضاً في وصف الفرس فهي جرداء وسرحوب، والدروع الجيِّدة من نسـج داود، وريـق الحبيبـة كـالخمـرة، والحبيبـة نفسهـا رعبـوبـة وخرعوبة وهي كالغزالة، وخمرته صافية تذهب بعقل شاربها:

صِرفٌ تـرى قعرَ الإنـاءِ وراءَهـا تودي بعقلِ المرءِ قبلَ فُواقِ[3]

يَنسـى للـذّتِهـا أصـالـةَ حِلمـه فيظـلُّ بيـن النـومِ والإطـراقِ

وقد سبقه إلى هذا المعنى الأعشى حيث قال[4]:

كُميـتٌ يُـرى دُونَ قعْـرِ الإنـا كمثلِ قَـذى العيـن، يُقـذى بهـا

في وصف مفعولها[5] قال الأعشى أيضاً:

تـدبُّ لهـا فتـرةٌ فـي العِظـام ويغشـى الـذؤابـة إفتـارُهـا[6]

---

(١) رز الجيش: صوته.

(٢) الديوان: ٢٤٩. والعُرام: الكثرة.

(٣) الديوان: ١٤٣.

(٤) ديوان الأعشى: ١٧٣.

(٥) ديوان الأعشى: ١٧٣.

(٦) الذؤابة: شعر مقدم الرأس.

ومن المعاني المكرَّرة أو المشتركة، ما يذكره عن خوف ابنته عليه عندما ينطلق إلى المعركة:

تقـــول ابنتــــي: إنَّ انطـــلاقـــك واحـــداً
إلــى الــرَّوْع، يــومــاً تــاركــي لا أبــاليــا[1]

وفي المعنى ذاته قال[2] النابغة الجعدي يذكر خوف ابنة عمِّه عليه:

باتـت تُـذكِّـرنـي بـالله قـاعـدةً والدمع ينهلُّ من شأنيهما سَبَلا

والسِّمة المشتركة التي تتكرَّر دائماً عند الشاعر كما عند غيره من أقرانه وتابعيهم، هي منهجيّتهم في الوقوف على الأطلال وذكر الحبيبة التي لا تتغيَّر صفاتها لكن اسمها الذي يتغيَّر بحسب الأحوال.

---

(١) ديوانه: ١٩٨. الرَّوع: أراد الحرب. لا أباليا: أي فاقدة لأبيها.
(٢) ديوان الجعدي: ١٩٤.

الفصل الثالث

الطُّفيل الغَنَوي[1]

نسبه:

هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبيس بن خُليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْم بن غَنى بن أعصَر بن سعَد بن قيس بن عيلان. وقيل[2]: هو طُفيل بن عوف بن ضُبيس بن دليف...

وطفيل شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، وكُنيته أبو قُرَّان ويُقال إنَّه أقدم شعراء قيس، وكان أكبر من النابغة الذبياني في السنّ.

مكانته:

هو من الفحول كما ذكرنا آنفاً، ويتميَّز عن أقرانه بأنَّه كان من

(١) ترجمته في: الأغاني: ١٥/ ٣٤٩. الشعر والشعراء: ٢٩٥، تاريخ الأدب العربي بروكلمان: ١/ ١١٩.

(٢) الأغاني: ١٥/ ٣٤٩ عن ابن حبيب، ويتفق في بقية نسبه مع رواية صاحب الأغاني.

أوصفهم للخيل، فقد أكثر من وصفها حتى لُقِّب بالمحبَّر كما سُمّي بطفيل الخيل. وقد روى[1] صاحب الأغاني أن طفيلاً ركب الخيل ووليَها لأهله، وأن أبا دؤاد الإيادي ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وأنَّ النابغة الجعدي، لمَّا أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحدَّثوا ووصفوا الخيل، فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما سمعه وعرفه قبل ذلك، وهؤلاء الثلاثة كانوا «أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها»[2]، وقد ذكره[3] آخرون مع سلامة بن جندل وأبي دؤاد الإيادي. وفضلاً عن وصفه للخيل، نراه مقدّماً في كل فن وغرض، حتى قال عنه معاوية: «خلُّوا لي طفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء».

وممّا يُروى[4] في شاعريّته، أنَّ قُتيبة بن مسلم سأل أعرابياً من غَنى، كان قدم عليه في خراسان عن أعفِّ بيتٍ قالته العرب فقال: قول طفيل الغنوي:

ولا أكون وِكاءَ الزاد أحبسه   لقد علمت بأنّ الزادَ مأكولا[5]

ثمَّ سأله عن أجود بيت قالته العرب في الحرب، فقال: قول طفيل:

---

(١) الأغاني: ١٥/ ٣٥٠.
(٢) الأغاني: ١٥/ ٣٥٠.
(٣) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١/ ١١٩.
(٤) الأغاني: ١٥/ ٣٥٠.
(٥) الوكاء: الرباط، رباط القِربة وغيره.

بحـــي إذا قيـــل اركبـــوا لـــم يقـــل لهـــم
عـــواويـــر يخشـــون الـــردي أيـــن نـــركَـــبُ[1]
ولكـــــن يُجـــاب المستغيـــث وخيلُهـــــم
عليهـــا حُمـــاةٌ بـــالمنيّـــة تضـــربُ

شعره:

وبما أنَّ وصف الخيل هو الأبرز في شعر طفيل، فلسوف أعرض بعض ما جاء من شعره في هذا المجال دون التعرُّض إلى الفنون الأخرى، إلَّا بما يقتضيه موضوع هذه الدراسة، بما يلقي الضوء على خصائص الشاعر العامّة.

كان عبد الملك بن مروان يقول[2]: «من أراد أن يتعلَّم ركوب الخيل فليرو شعر طُفيل». وإنَّ المتتبِّع لشعره، يجد أن أجوده يرتبط بحياة البادية وما تفرضه عليه من أنظمة وقوانين، ترتبط هي بدورها بالصراع على البقاء، فلا حياة في الصحراء إلَّا للقوي، وهكذا نجد الطفيل يتغنّى بكل ما له علاقة بالحرب من أدوات وسلاح وخيل، ولا يغفل الجوانب الأخرى في بيئته وما يحيط به من مظاهر طبيعيّة وحيوانات، فضلاً عن ذكره للأيام والمواقع والحروب وتفاخره بالبطولات والمكارم ورثاء القتلى وغير ذلك.

---

(١) العواوير: جمع العُوّار: الجبان. الأغاني: ١٥/ ٣٥١. وفي الشعر والشعراء «بخيل إذا».
(٢) الشعر والشعراء: ٢٩٥.

وقد احتلَّت الفرس حيِّزاً واسعاً من شعره، فاستجمع في ذلك من المعاني التي لم يسبق إليها الكثير الكثير، فهو يشبِّه فرسه بالذئب وبالكلب وبالنعام، ويصف لونها، وشدقها، وسرعتها وطريقة عدوها، ويذكر عرقَها وفخذيها وشواها، ويذكر طولها وامتدادها وظهرها وذنبها، كما يتحدَّث عن قوَّتها وصبرها ويذكر ما يتعلَّق بها كاللِجام، والغبار الذي تثيره عند جريها. قال[1] يصف فرسه:

إني وإنْ قلّ مالي لا يفارقني ... مَثلُ النعامة في أوصالها طولُ

أو قارحٌ في الغرابياتِ ذو نَسَبٍ ... وفي الجراء مِسَحٌ الشدِّ إجفيلُ[2]

فهو لا يبالي بالمال إن وُجِد أو عُدِم، فالمهم عنده أن يكون برفقة جواد قوي منسوب إلى الغراب، وكأنَّه يرى في ذلك تعويضاً عن كل مال. وفي صفة الذنب قال:

شميطُ الذنابي جوِّفت وهي جَونةٌ ... بنُقبةِ ديباجٍ وَريْط مقطعِ[3]

فالفرس أبلق، والذنب اختلط بلونه بياض، فيبدو لونه كالديباج، والفرس أحمر اللون، ممتلىء ريّان من أعلى، وليس مترهّل القوائم قال:

---

(١) الشعر والشعراء: ٢٩٥.

(٢) القارح: الفرس الذي تمَّت أسنانه. الغرابيات: نسبة إلى الغراب وهو جواد. وأرو الخيل المنسوبة. مِسح: سريع. إجفيل: نَفور.

(٣) الشمط: الخلط. الجون: السواد. النقبة: اللون. التجويف: البلق. والبيت في المعاني الكبير: ٢.

وأحمرُ كالديباج أما سماؤه فريّا وأمّا أرضُه فمحولُ[١].

أمّا تشبيهاته فكثيرة، منها[٢]:

كسِيْد الغضَا الغادي أضلَّ جراءه
على شرف مستقبل الرِّيح يلحبُ

وقال[٣] مشبّهاً بالكلاب:

تصانع أيديها الرسيحَ كأنّها كلابٌ يطأن في هراس مقنّبِ
تبارى مراخيها الزِّجاج كأنّها ضرا أحسَّت نبأة من مُكلِّبِ

وفي صفة عرقه قال:

كأنَّ يبيس الماء فوق متونها
أشارير ملحٍ في مباءة مُجرِبِ[٤]

وقال:

كأنَّ على أعطافه ثوبُ مائحٌ
وإن يُلق كلَبٌ بين لحييه يذهبُ[٥]

---

(١) المعاني الكبير: ١٥٥. سماء الفرس: ما كان من عجب الذنب إلى المعذّر. وأراد بأرضه: قوائمه.

(٢) المعاني الكبير: ١٨٣. وسيد الغضا: أخبث الذئاب. وأراد أن فرسه كذئب تاه عن جرائه فاستقبل الريح ليشمَّ رائحة الجراء.

(٣) المعاني الكبير: ٤٦. الهَراس: نبات له شوك.

(٤) المعاني الكبير: ١١. يبيس الماء: أراد العرق الجاف. المجرِب: الذي جربت إبله ويجمع الملح ليداويها.

(٥) المعاني الكبير: ١١. المائح: الذي يدخل البئر فيملأ الدلو فيسيل الماء على ثيابه فيبتل.

فالمراد أن الفرس قد أُجهد وتعب، فتعرّق ثم جفّ عرقه حتى يبس الملح على بدنه. والفرس في الصورة الثانية، يبدو كرجل نزل إلى بئر يمتاحها فتبلّلت ثيابه، لكثرة ما تصبّب عرقه، ويشير الشاعر، في الشطر الثاني من البيت إلى سعة شدق الفرس، بصورة مبالغ فيها، فإذا ألقي كلب في فمه يبتلعه. ويلتفت الشاعر إلى عدو هذا الفرس، حتى إنَّه ليحفّ من شدّة عدوه وكأنَّ ناراً تضطرم على عنقه يقول:[1].

كـأنَّ علـى أعـرافـه ولجـامِـه سنـا ضـرم مـن عـرفـجٍ يتلهّبُ

ومن صفات الفرس المحبَّبة عند طفيل وغيره من الفرسان العرب، سواد الذيل وكثافة شعره، قال[2]:

وأذنــــابُهــــا وُحــــفٌ كـــأنَّ ذيـــولهـــا
مِجــــرّ أشــــاءٍ مـــن سميحـــةَ مُـرطِـــبِ[3]

ومن تشبيهاته الحسنة قوله:

وفينــــا ربـــاطُ الخيــــل كــــلّ مُطهَّـــم
رجيـــلٍ كســــرحـــان الغضـــا المتـــأوِّبِ[4]

---

(١) المعاني الكبير: ١٧. السنا: الضوء. العرفج: شجر سهلي واحدته العرفجة.

(٢) الأمالي: ٢/ ٢٥١.

(٣) سميحة: موضع.

(٤) المعاني الكبير: ٣٦. المطهّم: السمين والنحيف أيضاً. السرحان: الذئب.

ولطرفة في ما يقارب هذا المعنى:

وكَرِّي إذا نادى المضافُ مُحنّباً كسِيد الغضا نبّهته المتورّدِ[1]

فرس طفيل مطهَّم تام الخلق جيِّد المشي قوي، كالذئب الخبيث، ومثله فرس طرفة المحنَّب، فيشترك الفرسان في القوّة والسرعة.

ونظراً لقوَّة فرسه، فإنَّه يثير غباراً كالدخان إذا هبط أرضاً ترابيّة أو رمليّة ليِّنة:

إذا هبطتُ سهلاً حسبتُ غبارها
بجانبه الأقصى دواخن تنضُبِ[2]

فالفرس رفيقته التي لا تملّ ولا تتعب، فإذا أصابت شيئاً من الربيع، كانت جاهزة إلى الحرب:

وكنّا إذا ما اغتفَتِ الخيلُ غُفَّةً تجرّد طلاّبُ التِّراتِ مُطلَّبُ[3]

ويربط الشاعر الحصول على الخير بالخيل، وليس ذلك جديد، بل هذا ما كانت تراه العرب، وقد سمُّوا الخيل «بالخير» لكثرة انتفاعهم بها فقال[4] أوس بن حجر:

فأعقب خير أكلٍ أهوجٍ مِمْرَجٍ وكل مفداةِ العُلالةِ صِلدمِ[5]

---

(١) ديوان طرفة: ٤٧. التحنيب: اعوجاج في قائمتي الفرس. السِّيد: الذئب.

(٢) المعاني الكبير: ٦٣. والدواخن: جمع الدخان، ولا يقاس عليه. تنضب: شجر.

(٣) الأمالي: ٢/ ٣٤. اغتفت الخيل: أصابت شيئاً من الربيع.

(٤) المعاني الكبير: ٨٤.

(٥) الأهوج: الذي يركب رأسه، الممرج: الكثير الجري. العُلالة: بقية الجري.

وأراد أوس أنَّ خيلهم تلك قد أعقبتهم خيراً ممّا قاموا عليها. وكانوا يفدونها ويؤثرونها بالماء لنفاستها، قال[1] خالد بن الصقعب النهدي:

يُصَبُّ لها نِطافُ القومِ سِرّاً ويشهدُ خالُها أمرَ الزعيم

أمّا طفيل فقال:

وللخيل أيّامٌ فمن يصطبرْ لها
ويعرف لها أيّامَها الخيرَ تعقب[2]

ويكثر طفيل من حديثه عن الغارات والحرب، فيصف اضطرام نيرانها، ويشير إلى العداوات، فيفاخر أعداءه، ويتباهى بتحقيق الانتصار والغلبة، ويمازج بين وصفه للحرب وبين وصفه للخيل والسلاح أحياناً. ومن المواقع المشهودة التي خاضها طفيل مع قومه موقعة مُحجّر[3]، وسبب تلك الموقعة أنَّ جماعة من طيئ قتلوا رجلاً من غنى يقال له قيس الندامى، وكان سيِّداً مقدماً، وكان عندما قتلوه، في طريق عودته من زيارة لبعض الملوك، حيث لقوه بمنطقة رمّان، وقتلوه، ولكنَّهم ندموا على ما فعلوه عندما علموا أنَّه قيس، لما كان له عليهم من أياد، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً. وإثر ذلك جمع

---

(١) المعاني الكبير: ٨٥. وأراد بخالها: صاحبها. نطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي. الزعيم: الرئيس. والمراد أن لفارسها قدراً والرئيس يشاوره في الأمر.

(٢) المعاني الكبير: ٨٥.

(٣) محجر: موضع بين القنان وشرقي سلمى وهو جبل في بلاد طيئ.

طفيل جموعاً من قيس وأغار على بلاد اطيئ، فأخذ من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلى كثيرة، وقال[1] من قصيدة له مصوِّراً هولَ ما جرى ذلك اليوم ومظهراً شماتة بأعدائه:

فــــذوقـــوا كمـــا ذُقنـــا غـــداةَ محجَّـــرٍ
مـــن الغيـــظ فـــي أكبـــادنـــا والتحـــوُّبِ[2]
فبـــالقتـــلِ قتـــلٌ والسَّـــوامُ بمثلـــهِ
وبـــالشّـــلّ شَـــلٌّ الغـــائـــط المتصـــوِّبِ

ويظهر، من خلال ما تقدّم، أن ما فعله الشاعر وقومه من تقتيل وتدمير واستيلاء على المغانم، كل ذلك يقع في باب المجازاة، فبقدر ما كان الذنب كانت العقوبة.

وممّا يُروى حول هذه القصيدة أنَّ عبد الملك بن مروان كان يفضِّلها ويقول[4]: «أكرم بيت وضعته العرب بيتُ طفيل الذي يقول فيه:

وبيتٍ تهبُّ الريح في حَجَراته بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يُحجّبِ

ومن رائع ما جاء في هذه الأبيات تلك المزاوجة في استعمال الألفاظ، فقد جمع لهذا البيت من عناصر القوّة ما تجده في الفرس،

---

(١) الأغاني: ١٥/ ٣٥٢.
(٢) محجر: موضع. التحوب: التوجّع.
(٣) التصويب: الانحدار، ويقال: غاط في الوادي إذا ذهب فيه. الشل: الطرد. والسُّوام، في المبايعة: المغالاة.
(٤) الأغاني: ١٥/ ٣٥٣.

فبيته في الصحراء تهبُّ الريح عليه من كل جانب، غطاؤه ما تبقّى من برود يمنية مقطّعة، وفرشه كذلك ثياب يمنية موشّاة، أمّا أطنابه فحبال خيول جُردٍ لا شعر عليها:

وأطنابه أرسانُ جُردٍ كأنَّها　　صدور القنا من بادىء ومعقَّبِ

وهكذا يستحيل بيته الصحراوي وكأنّه فرس، ومفرشه صهوة جواد وأطنابه أرسان فرس جرداء.

وفي القوّة والبأس في الحرب قال[1]:

بضربٍ يُزيلُ الهام عن سَكَناته
وينقعُ من هامِ الرِّجال بمشربِ

وعلى الطريقة ذاتها ها هو يفاخر بما فعله وقومه يوم حَرْس:

فنحن منعنا يومَ حَرْسٍ نساءَكم　　غداة دعانا عامرٌ غير مُعتلي[2]

حيث دافعوا عن النساء، وفي هذا دلالة أخرى على حرص الجاهليّين على المرأة ومكانتِها، فهم يخوضون الحرب، ويضحُّون بأرواحهم وأموالهم كي تبقى سليمة عزيزة حرّة كريمة. ويبدو خوف النساء من الغارات والحروب في قوله[3]:

ظعائنُ أَبرقنَ الخريفَ وشِمنَه　　وخفنَ الهُمام أن تُقادَ قَنابلُهْ[4]

(١) الأمالي: ٤/ ٨٥.
(٢) الأمالي: ٢/ ٧٨.
(٣) الأمالي: ٢/ ٣٨.
(٤) أبرقن الخريف: أراد أنهنَّ رأين برق الخريف. شِمنه: أبصرنه. القنابل: جمع القُنبلة وهي جماعة الخيل.

فالظعائن خفن دخول شهور الحلّ مع الخريف، ففي ذهاب الأشهر الحرام إيذان بعودة القبائل إلى الغارات، وبذلك تباعدن وتنحّين.

وكما تغنّى بالبطولة، وحماية الديار والنساء، فإنَّه رثى القتلى من قبيلته وذويه قال[1] يذكر قيساً بعد مقتله:

تأوّبَني همٌّ من الليل مُنصبُ ... وجاء من الأخبار ما لا أكذِّبُ
ومن قيس الثاوي بِرَمّان بيتُه ... ويومَ حَقيلٍ فاد آخرُ مُعجبُ[2]
أشمُ طويلُ الساعدين كأنَّه ... فَنيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّبُ[3]

ويعلن بعد ذلك بأنَّه لا يجد متعة ولا لذّة في شراب أو في غيره لأنه افتقد ندماءَه وأحبابه:

ندامايَ أمسَوا قد تخلَّيتُ عنهم
فكيف ألذُّ الخمر أم كيف أشربُ[4]

وللخمرة في نفسه مكانة ولو أنَّه لا يستطيبها إلاَّ بهدوء باله، ومع أصحابه، وقد وصفها وأجاد:

وأصفرَ مشهوم الفؤاد كأنَّه ... غداةَ الندى بالزعفران مُطيَّبُ[5]

---

(١) الأغاني: ١٥/ ٣٥٥.

(٢) قيس: هو قيس الندامى الذي قتلته طيئ. الثاوي: المقيم. حقيل: موضع. فاد: مات.

(٣) فنيق: فحل كريم.

(٤) الأغاني: ١٥/ ٣٥٥.

(٥) الأمالي: ٢/ ٨١. وأراد بالأصفر: القدح. وقوله: مشهوم الفؤاد أي مذعور. متقوِّب: مُتقشِّر.

تفلــتُ عليــه تَفْلــةً ومسحتُــه   بثــوبــي حتــى جِلــدُه متقــوِّبُ

أمّاالحيوانات فقد نالت حظّها من العناية، فكما وصف الفرس وأفاض، كذلك وصف ما رأته عينه من سباع وهوام وطيور، ووصف الإبل والغزال وغير ذلك.

قال يذكر الإبل والغزلان:

عوازبُ لم تسمع نُبوح مقامةٍ   ولم تر ناراً تم حول مجرّم[1]

ســـوى نـــار بيـــضٍ أو غـــزالٍ بقفـــرةٍ
أغـــنّ مـــن الخُنـس المنـاخـــر تـــوأمِ[2]

إنَّها إبل تبيت بعيدة عن مباركها في القفر حيث لا تسمع صوتاً ولا جلبة، ولا ترى ناراً، سوى نار بيض النعام، التي توقد له، وغزال أغنّ أخنس.

خصائصه العامّة

لا يختلف شعر طفيل من حيث معانيه، عن شعر سلامة، أو غيره من الجاهليّين الفرسان، فتناول الفرس، وشبَّهه بالكلب وبالذئب وبالنعام، ووصف لونه وطوله وارتفاعه، وشدّته واتساعه، وعدوه وصبره ومجالدته وسرعته، فقدَّم طفيل صورة بل صوراً دقيقة عن

---

(١) المعاني الكبير: ٣٦١. أراد بالعوازب: النوق التي تبيت بالقفر. النبوح: جلبة الحي وصوتهم. تم: تمام. مجرّم: مقطوع.

(٢) الأغن: من الغُنَّة: البُحَّة في الصوت. الخُنس: جمع الأخنس وهو صغير الأنف.

الخيل وصفاتها الخارجية فضلاً عن فوائد كثيرة تتعلّق بطبائعها. وكذلك في حديثه عن الحيوانات الأخرى دلالة على معرفته بحيوانات الصحراء، وألوانها وطرائق عيشها وطبائعها كالإبل، والكلاب، والغزلان والنسور وغيرها من الحيوانات، فضلاً عن السباع التي صوّر خوفه منها، لكنَّه يشير إلى محاذرته وتهيّبه إيّاها في بيت رائع:

ظللنا معاً جارَيْن نحترسُ الثأي
يسائرني من نُطفةٍ وأسائِرُه[1]

فهما أي الشاعر والسبع جاران، كل منهما يخاف صاحبه، فيرد طفيل ليشرب ويبقي لجاره من الماء، وإذا ورد السبع قبله ترك له ما يشربه.

ومن موضوعاته أيضاً وصف السلاح والخمرة، ورثاء القتلى، إذ يظهر حميّة عصبيّة قبليّة نحو من مات قتلاً من أبناء قبيلته، فيبكيهم ويتهكّم بأعدائه.

أمّا ألفاظه، فمستمدّة من بيئته، هي خشنة ولكنها جزلة وقويّة. وكذلك بالنسبة إلى الصور، إنَّها واقعيّة حسيّة حيث يشبِّه الشاعر ويقارن بما تقع عليه عينه كما في قوله: «أشمّ كأنَّه فنيق...».

---

(١) الأمالي: ١/ ٢٣٦. يسائر: من السؤر وهو بقية الماء. والثأي: الفساد.



الفصل الرابع

أبو دؤاد الإيادي[1]

هو جارية بن الحجّاج بن بحر بن عصام بن منبّه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار. وقيل هو جارية بن الحجّاج أحد بني بُرد بن دُعمي بن إياد بن نزار. أمّا الأصمعي فقد سمّاه[2] حنظلة بن الشرقي، والبعض الآخر سمّاه جويرية بن الحجّاج. وهو جاهلي.

تزوَّج أبو دؤاد امرأة من قومه، فولدت له دؤاداً ثم ماتت فتزوَّج أخرى، فأولعت بدؤادٍ وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده، وكان أبو دؤاد يحبّها، ونظراً لإلحاحها عليه خرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جَرداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمِّداً، وقال: أي دؤاد، انزل فناولني سَوطي، فنزل، فدفع بعيره وناداه[3]:

أدوادُ إنَّ الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دؤاد لأي أرض تعمدُ

---

(١) ترجمته في: الأغاني ١٦/ ٣٧٣. جمهرة أنساب العرب ٣٢٨. الشعر والشعراء ١٤٠ ـ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان: ١/ ١١٨.

(٢) الشعر والشعراء: ١٤٠.

(٣) الأغاني: ١٦/ ٣٧٧.

(٤) الأغاني: ١٦/ ٣٧٤.

فقال له دؤاد: على رسلِك، فوقف له، فقال دؤاد:

وبــأي ظنــك أن أقيــمَ ببلــدةٍ جــرداء ليــس بغيــرهــا متلــدَّدُ

وكان أبو دؤاد سمحاً كريماً جواداً حتى إنَّ امرأة له يُقال لها أم حبتر عاتبته على سماحَته بماله فلم يعتبها فصرمته وفيها يقول:

في ثلاثيـن ذعـذعتهـا حقـوقٌ أصبحــت أم حبتــر تشكــونــي
زعمـت لـي بـأنَّني أفسـد المـا ل وأزويـه عـن قضـاء ديـونـي
أمَّلـت أن أكـون عبـداً لحـالـي وتَهنَّـا بنـافـع المـال دونـي

ويقال[1] إنَّه مدح الحارث بن هُمام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن لأبي دؤاد وهو في جواره فوداه فمدحه أبو دؤاد، فحلف له الحارث أنَّه لا يموت له ولد إلاَّ وداه، ولا يذهب له مال إلاَّ أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دؤاد، وأخبر ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أنَّ ذلك الجار هو كعب بن مامة الإيادي. ومما قيل في ذلك قول قيس بن زهير:

أطــوّف مــا أطــوّف ثــمَّ آوي إلــى جــارٍ كجــار أبــي دؤاد

وقال[2] طرفة:

إنِّــي كفــانــي مــن هــمٍّ هممــتُ بــه
جــارٌ كجــارِ الحــذاقــي الــذي انتصفــا

---

(١) الأغاني: ١٦/ ٣٧٣.

(٢) الشعر والشعراء: ١٤٠. والحذاقي هو أبو دؤاد.

أمّا اتِّصاله بالحارث بن همّام، فذلك يعود إلى سنة أصابت قوم أبي دؤاد فتفرّقوا ثلاث فرق: فرقة سلكت في البحر وهلكت، وفرقة اتجهت صوب اليمن فنجت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن همّام، وكان ذلك عندما أرسلوا ناقة لأبي دؤاد ميمونة سمينة، اسمها الزبّاء فبركت بفناء الحارث بن همّام، وهكذا تمّت المجاورة، فقال فيه يمدحه:

فإلى ابن همّام بن مرّة أصعدتْ	ظُعُن الخليط بهم فقلَّ زِيالُها
أنعمتَ نعمةَ ماجد ذي مِنّة	نُصبَت عليه من العلا أظلالُها
وجعلنا دون الوليّ فأصبحت	زبّاءُ منقطعاً إليك عِقالُها

شاعريته ومكانته

كان من وصّاف الخيل المشهورين، إلاَّ أنَّه يتفوّق عليهم جميعاً ذلك أنَّه كان على خيل المنذر بن ماء السماء، أمّا طفيل فكان يركبها وهو صبي إلى أن كبر، ومن وصافها النابغة الجعدي، فإنَّه سمع ذكرها من أشعار الشعراء فأخذ عنهم[١].

وكان أبو الأسود الدؤلي يقدِّمه ويتعصّب له، وسمع الإمام علي رضي الله عنه خصاماً حول أشعر الناس، فقال[٢]: «كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول لعلمنا أيّهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فَضَلَهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة

(١) الأغاني: ١٦/ ٣٧٥، وهذا رأي الأصمعي. وكذلك يرى ابن الأعرابي حيث قدّمه.
(٢) الأغاني: ١٦/ ٣٧٦.

امرؤ القيس بن حجر فإنَّه كان أصحّهم بادرة، وأجودهم نادرة».

أمّا موقف الرواة من شعره، فسلبي لأنَّ معظمهم كان يرى أنَّ أبا دؤاد يخالف مذاهب الشعراء، في إكثاره من وصف الخيل، وكذلك أهملوا شعر عدي بن زيد وتذرّع البعض بأنَّ لغة هذين الشاعرين ليست نجديّة[1].

وكانت إياد تفخر به وبكعب بن مامة، فهو بنظرهم أشعر الناس وكعب أجودهم. وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فقال: الذي يقول[2]:

لا أعدُّ الإقتار عُدْماً ولكن فقدُ مَن قد رُزئته الإعدامُ

ولم يكن أبو دؤاد وحده شاعراً، بل ابنه دؤاد أيضاً وزوجته أم دؤاد وابنته دؤادة، كلّهم كانوا يجيدون الصنعة، فكانوا جميعاً ذات يوم على ربوة إذ خرج ثور فقال[3] أبو دؤاد:

وبدت له أذُنٌ توجّـ ـسُ حُرّةٌ وأحمُّ وارد
وقوائمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمَع زوائدُ
كمقاعد الرُّقباء للضّـ ـرباء أيديهم نواهد

وقال: أنفذي يا أم دُؤاد، فقالت:

وبدتْ له أذن توجّـ ـسُ حُرّة وأحمُّ مُولَق

---

(١) الشعر والشعراء: ١٤١.

(٢) الأغاني: ١٦/ ٣٧٩. والبيت لأبي دؤاد من قصيدة طويلة.

(٣) الأغاني: ١٦/ ٣٨٠.

وقــوائــمٌ عــوجٌ لهــا — مــن خلفهــا زمَــع معلَّــق
كمقــاعــد الــرقبــاء للضّــ — ربــاء أيــديهــم تــألَّــقْ

ثمَّ قال: أنفذ يا دؤاد، فقال:

وبــدت لــه أذن تــوجّـ — سُ مــرة وأحــمُّ مــرهَــفْ
وقــوائــم عــوج لهــا — مــن خلفهــا زَمَــع ملفّــف
كمقــاعــد الــرقبــاء للضــ — ربــاء أيــديهــم تلقّــف

ثم قال: أنفذي يا دؤادة. قالت: وما أقول مع من أخطأ؟ قالوا: ومن أين أخطأناه؟ قالت: جعلتم له قرناً واحداً، وله قرنان! قالوا: فقولي، قالت:

وبــدت لــه أذن تــوجّـ — ـسُ حــرة وأحمتــانْ
وقــوائــمُ عُــوج لهــا — مــن خلفهــا زمــع ثمــان
كمقــاعــد الــرقبــاء للضــ — ربــاء أيــديهــم دوان

شعــره

يدور أكثر شعر أبي دؤاد حول الخيل، وصفاتها، وله قصائد في الأغراض الأخرى.

أمّا عنايته بوصف الخيل، فشأنه في ذلك شأن الجاهليين عموماً لما كانت تمثّله الخيل بالنسبة إليهم، فهي الرفيق في السفر، والشريك وقت الحرب، وامتطاؤها يبعث في النفس المتعة والحبور، لذلك وصفوها، وتغنُّوا بحسناتها وخصائصها، وتناولوها كموضوع متكامل، كما وصفوا أعضاءها، فلم يدَّخروا جهداً في إظهار فضائلها، وكان شاعرنا الإيادي من أكثر وصّاف الخيل معرفةً بها،

قال يشبِّه الفرس بولد الذئب من الضبع، وبعقاب يحثها ولد الضبع من الذئب:

هــو سمِــعٌ إذا تمطّــر مشيــاً وعُقــابٌ يحثُّهــا عِسبــار[1]

أمّا مشيته فتشبه مشي النعامة ومشي الظليم.

يمشــي كمشــي نعــامــةِ تبعَــتْ أُخرى إذا هي ساعها خطْبُ[2]

فالنعامة أسرع ما تكون في مشيها إذا تعرّضت إلى خطر، وهكذا فرس الشاعر سريع لا يُبارى، وهو إذا عدا أوسع وبسط في عدوه:

ضَروحُ الحماتَيْن سامي الذراعِ إذا مــا انتحــاه خَبــارٌ وَثَــبْ[3]

وقال:

ضَروح الحَمَاتين سامي التليل وَثُوباً إذا مـا انتحـاهُ الخَبـارا[4]

هو إذاً، فرس نفوحٌ برجله عالي العنق، يثب في الخبار إذا قصد.

وتناول أبو دؤاد أعضاء الفرس فقال في عينيه[5]:

طــويــلٌ طــامــح الطّــرفِ إلــى مفــزعــةِ الكلْــبِ
حــديــدُ الطــرف والمنكــبِ والعــرقــوب والقلــبِ

---

(١) المعاني الكبير: ٣٧.

(٢) المعاني الكبير: ٤٠.

(٣) المعاني الكبير: ٢٠. الضروح: الذي يوسع في عَدْوه. الحماتان: عضلتا الساقين. الخبار: ما لان من الأرض واسترخى.

(٤) الأصمعيات: ١٩١. والتليل: العنق. انتحاه. قصده.

(٥) المعاني الكبير: ١٢٠.

وكما تغنّى الشاعر بحدّة طرفه، رأى في سعة شدقه صفة حسنة فقال:

تــــرى فـــاه إذا إقبـــل   مثـل السَّلـقِ الجـذبِ[1]

فجعل فمه وقد أقبل كجانب الوادي إلى الأرض، فهو هوّة واسعة، وقال:

وهي شوهاء كالجُوالق فوها   مستجاف يضلُّ فيه الشكيمُ[2]

يتحدَّث عن فرس واسعة الفم والمنخرين.

ومن الصفات المحبّبة لدى الجاهليين ارتفاع الفرس، وقلّة شعر جسده، فقال في الفلو:

كتفـاهـا كمـا يـركّـب قَيْـنٌ   قَتبـاً فـي أحنـائـه تشميـمُ[3]

أمّا الصدر فرهل مسترخ، والظهر كأنَّه حبل ليف شديد الفتل:

رهــلٌ زَورُهــا كــأنَّ قـراهـا   مَسَـدٌ شـدَّ متنـه التبـريـمُ[4]

ومن الصفات المحبّبة طول الفرس:[5]

إذا مـــا جـــرى شـــأويـــن وابتـــلّ عِطفـــه
أنـــاخَ بهـــادٍ مثـــل جـــذعِ سحـــوقِ

---

(١) السَّلق: جانب الوادي إلى الأرض.

(٢) المعاني الكبير: ١٢٤. الشوهاء: واسعة الفم والمنخرين. الشكيم: فأس اللجام.

(٣) المعاني الكبير: ١٣٢. الأحناء: خشب الرحل. تشميم: ارتفاع.

(٤) المعاني الكبير: ١٣٦. الزور: الصدر. القرا: الظهر. المسد: الحبل.

(٥) ديوان المعاني: ٢/ ١١٢. الشأو: السبق والمسافة.

كـــأنِّـــي إذا عـــاليــتُ حـــوزةَ متنـــه
تعلـــق بـــزي عنـــد بيـــضِ أنـــوقِ

ويشبِّه الفرس بالرمح في سوعته:

كظهـــر الـــرديـنـــي بيـــن الأكـــفِّ
جـــرى فـــي الأنـــابيـــب ثـــمَّ اشطَـــرَبْ[1]

وقال[2] في نشاطه:

يعلـو بفـارسـه منـه إلـى سنـدٍ   عـالٍ وفيـه إذا مـا جـدّ تصـويـبُ

ومن جيِّد وصفه ما رآه من ثني في يدي فرسه وانحناء في رجليه مما يعني أنه سريع في عدوه:

وفـــي اليـــديـــن إذا مـــا المـــاء أسهلـــه
ثنـــيٌ قليـــلٌ وفـــي الـــرجليـــن تجنيـــبُ[3]

وقد أجاد أبو دؤاد في أبيات قليلة أن يصف الكثير من أعضاء فرسه فهو ذو نظر حاد، كذلك هو حاد العرقوب والقلب، وأرساغه ضخمة غليظة كـأعناق الضباع، وتظهر لحيمات بـارزة من بين حوافره، تبدو وكأنَّها نوى التمر اليابس، قال[4]:

---

(١) الزهرة: ٢/ ٧١٤.

(٢) المعاني الكبير: ١٤٥.

(٣) المعاني الكبير: ١٦١.

(٤) المعاني الكبير: ١٦٢. المِكبُّ: الكثير النظر إلى الأرض. الغُلب: الغلاظ الرقاب. الحوافي: الحوافر. النسور: لحيمات في باطن الحافر. القَسْب: التمر اليابس.

حـديـدُ الطـرف والمِكـبِّ والعــرقــوبِ والقلــبِ
وأرســـاغٌ كـــأعنـــاقِ ضبـــاعِ أربـــعٍ غُلـــبِ
تـــرى بيـــنَ حـــواميـــه نســـوراً كنـــوى القَسْـــبِ

والفرس الكريم عند الجاهليين هو ذاك الذي يصمد في الحرب، ويلبِّي فارسه في الصيد والقنص وينبغي أن يتمتَّع باللياقة البدنية التي تسمح له أن يطارد الوعول والحمر الوحشية والغزلان وغيرها من حيوانات الصحراء السريعة، قال[١]:

غــدونــا بــه كســوارِ الهلــو كِ مُضطَمِـراً حـالبـاه اضطمـارا
مَـرُوحـاً يجـاذبنـا فـي القيـاد تخـال مـن القـودِ فيـه اقـورارا

ففـي تشبيهـه للفـرس بـالسـوار المنعطـف، إشـارة إلـى ضمـور خاصرتيه، ورشاقته وهو نشيط يمشي متخايلاً يجاذب فارسه وهو يقوده فيبدو منشنجاً، حانياً صلبه، وهو لخفَّته ونشاطه يستطيع أن يثب في الأرض الليِّنة المسترخية، فلا يصعب عليه شيء:

ضروح الحمـاتيـن سـامي التليـل وَثُـوبـاً إذا مـا انتمـاه الخبـارا[٢]

وهـو لشـدّة توثّبه ونشـاطه يكـاد يطير، فيسكّن الغـلام من تحفُّزه ليمتطيه، فينطلق حينئذٍ كالصقر الطائر، وراء سرب من البقر الوحشي قال[٣]:

فَلمّـــا عـــلا متنتيـه الغـــلامُ وسكّـــن مـــن آلـــه أن يُطـــارا

(١) الأصمعيّات: ١٩٠. الهلُوكِ: المرأة الفاجرة. مَروح: من المرح.
(٢) الأصمعيات: ١٩١. ضَروح: نفوح برجله. انتحى: قصد.
(٣) الأصمعيات: ١٩١. الآل: الشخص والسراب. الأجدل: الصقر.

وسُــرَّحَ كــالأجــدلِ الفــاســ ـــيِّ في إثرِ سِربٍ أجد النَّقـارا

والفرس، بالإضافة إلى كونه الشريك والرفيق المجالد والصابر في أوقات الشّدة والحرب، والقنص، فهو زينة الدار ولا يستغني عنه ذو جاه ومنزل:

يــزيِّــن البيــتَ مــربــوطــاً ويشفــي قــرمَ الــركــبِ[1]

فليس غريباً بعد كل ذلك أن يتّخذها الجاهلي كرفيقة له في حلِّه وترحاله، ويحرم نفسه اللبن والحليب ليسقيها، ويقدِّم لها الماء الصافي، وهو لا يمنعه من اقتناء الخيل مانع، حتى ولو كان الفقر وضيق الحال، قال[2] أبو دؤاد:

وقصــرنــا الشتــاء بعــد عليــه فهــو للــذودِ أن يقسّمــن جــارُ
عَلِقــتْ هــابتــي بهــنّ فمــا يمــ ـنــعُ منِّــي الأعنّــةَ الإقتــارُ

أمّا الإبل فنالت هي بدورها، العناية والاهتمام اللذين تستحقهما من شعر الجاهليِّين عموماً، ونرى لأبي دؤاد أبياتاً قد ذكر فيها معظم صفات الإبل الحسنة فقال[3] مفاخراً بها لكثرتها:

إبلــي الإبــل لا يحــوزهــا الــرا عــون مــج النـدى عليهـا المـدامُ

إنَّ الرعاة قد عجزوا عن جمعها فتركوها في البريّة ترعى.

---

(١) المعاني الكبير: ٦٥. وأراد أن الفرس زينة وهو مربوط ويلبّي الحاجة في الصيد، إن دعت الضرورة.

(٢) المعاني الكبير: ٨٩.

(٣) الأصمعيات: ١٨٨.

وهي إبل سمينة، مرتفعة عالية، فكأنَّها تلال أو هضاب متحرِّكة، أو هي قصور تتمايل في أعاليها حصون، وهي كبيض النعام في ملاستها، مُصانة ليس فيها ما يوهب لأنَّها عزيزة على أهلها، قال[1]:

سمنت فاستحش أكرعها لا الـ ـنـيُّ نـيٌّ ولا السنـامُ سنـامُ
فـإذا أقبلـتْ تقـول إكـامُ مُشـرفـاتٌ فـوقَ الإكـام إكـامُ
وإذا أعـرضـتْ تقـول قصـورٌ مـن سمـاهيـج فـوقهـا آطـامُ
وهـي كـالبيـضِ فـي الأداحـي مـا يُـو هَـبُ منهـا المستتـمٌ عِصـامُ

ولم يقتصر أبو دؤاد على وصف الناقة والفرس، بل ذكر الكثير من الحيوانات الصحراوية كالحرباء التي يقول فيها[2]:

إنِّـي أتيـح لهـا حـربـاء تنضبـة لا يرسلُ الساقَ إلاَّ ممسكاً ساقاً

أمّا الحمار فقال فيه:

قلـتُ لمّـا نصـلاً مـن قُنّـة كـذبَ العَيـر وإن كـان بَـرَحِ

ومن تشبيهاته الحسنة تشبيه الصائد الذي عاد خائباً بالنعامة إذ يعدو خفيفاً:

فـأتـانـا يسعـى تفـرّش أمّ البيض سُدّاً وقد تعالى النهارُ[3]

وبعد رحلة صيد متعبة يجد الشاعر مُتعة لا مثيل لها، إذ يجالس

---

(١) الأصمعيات: ١٨٨.
(٢) ديوان المعاني: ٢/١٤٦.
(٣) المعاني الكبير: ٧٧٥.

رفاقه من الصائدين، وقد أجهدهم التجوال والجوع، ليتناولوا اللحم:

ثم ولّى بنعجتين وثورٍ قسمت بينهنّ كأسٌ عُقارُ[1]
ففريقٌ يفلّج اللحم نيئاً وفريق لطابخيه قُتارُ[2]

أغراضه الأخرى:

كان لأبي دؤاد في الفنون الشعرية المختلفة، ولو أنَّه لم يكثر، ولكن القليل الذي بين يدينا، فيه من الجودة، والقوّة، وحسن المعنى ما يغني عن الكثير ففي الرثاء نجد العاطفة الصادقة، حيث رثى قومه، لأنَّ الخسَارة عَنده ليست خسارة المال بل فقد الرجال الأعزاء من الأقارب من أمثال ابن عمه كعب بن مامة الذي رثاه قائلاً[3]:

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْماً
ولكن فقدُ مَن قد رُزئته الإعدامُ[4]
من رجالٍ من الأقارب فادوا
من حُذاقٍ هم الرؤوس الكرامُ[5]

أمّا الغزل فنقع عليه في افتتاحيّات القصائد، كما هي الحال عند

---

(١) المعاني الكبير: ٤٦٥.
(٢) المعاني الكبير: ٧٧٦.
(٣) الأصمعيات: ١٨٦.
(٤) الرُّزء: المصيبة.
(٥) فادوا: هلكوا.

الجاهليّين كقوله[1]:

مَنَــعَ النــوم مــاويَ التهمــامُ   وجـديـرٌ بـالهـمّ مَـنْ لا ينـامُ

ومن القصيدة ذاتها، يصوِّر عواطفه نحو النساء، من بنات نخلة، اللواتي سبينه بحسنهنّ ووسامتهنّ وتفوح منهنّ روائح البخور الطيّبة، وإذ يراهنّ الشاعر في الهوادج فإنهنّ غزلان ذابلات الشفاه، قال[2]:

وسبتْنـي بنـاتُ نخلـة لـو كُنْـ   ـتُ قـريبـاً ألـمَّ بـي إلمـامُ

يكتبين الينجوج في كبَّة المشـ   ـتى وبُلْـهٌ أحـلامُهـنّ، وِسـامُ

وتـراهـنَّ فـي الهـوادجِ كـالغـز   لان مـا إن ينـالهـنّ السَّهـامُ

وللشاعر نظرات، منها ما يقرّر الواقع، ومنها ما يقع في حيِّز التأمُّل الصرف، قال:[3]

في نظام ما كنتُ فيه فلا يحْـ   ـزنكَ شيءٌ، لكلِّ حسناءَ ذامُ

فأراد أن يعبّر عن إقحامه في أمر مفاجىء دون روية، وهو يشير في ذلك إلى كعب بن مامة الإيادي، ولكنه يستدرك فيعود إلى نفسه ليخرج بعِبرة وهي أنَّ الإنسان العادي لا يخلو ممّا يعيبه.

وفي القصيدة ذاتها، وبعد أن يرثي قومه، يعلن استسلامه أمام حقيقة الموت الذي لا بدَّ منه، ولكنَّه كَغيره من أبناء عصره، يربط مصائر الناس بالزمن، فالأيام عنده هي التي تبليهم:

وكـذا كـم مصيـرُ كـلِّ أنـاسٍ   سـوف، حقـاً، تُبليهـم الأيّـامُ

---

(١) الأصمعيات: ١٨٥ . ماوي: أراد: يا ماوية. التهمام: السهم.

(٢) الأصمعيات: ١٨٦ .

(٣) الأصمعيات: ١٨٦ .

ومن الأبيات التي تجري مجرى الأمثال قوله[1]:

على أعراقه يجري المذكي وليس على تكلّفه وجهده

وإنّنا لنرى في شعره صورة إنسانيّة رائعة، تتمثّل في تمسّكه بالعهد، وحفظ الجوار قال[2]:

ترى جارنا آمناً وسطنا يروح بعقدِ وثيقِ السَّببْ
إذا ما عقدنا له ذِمّة شددنا العناج وعقد الكَرَب

خلاصة

إنَّ ما رأيناه من الصور والموضوعات، وخصوصاً ما يتعلَّق منها بوصف الخيل والإبل، لهو صورة حيَّة عن البيئة الجاهلية بكافة مظاهرها، الطبيعيّة وما فيها من حيوانات، أو الاجتماعيّة بما فيها من علاقات إنسانية كالحبِّ والكره والجوار، وكذلك قد رأينا ما كان للجاهليين من هوايات كالصيد وركوب الخيل، ومجالسة الأصدقاء للطعام وشرب الخمرة. وهو يصوِّر من خلال رثائه لكعب بن مامة أنَّ الإنسان هو العنصر الأكثر أهمّية، في ظلّ النظام القبلي الصحراوي الذي لا يعرف الرحمة، فلا شيء يعوّض عن الفقيد بعد موته، وانطلاقاً من هذه القناعة بكى ورثى، كما بكى غيره وثأر. وهكذا فإن حياة الجاهلي، حياة لا تعرف الاستقرار، هي حياة مملوءة بالمشاهد المرعبة والأهوال، فالصراع يتكرّر كل يوم، صراع الإنسان مع

---

(١) ديوان المعاني: ١/ ١٤٢، والمراد بأنّ الذي لا يجري على عرقه ليس له ثبات.

(٢) الشعر والشعراء: ١٤٢.

الإنسـان، وصـراعـه مـع الحيـوان، وصـراع الحيـوان مـع أبنـاء جنسـه، والهدف واحد هو البقاء.

ولا يختلف أبو دؤاد في أسلوبه عن معاصريه عموماً، ولا سيما الذين وصفوا الخيل، فتكاد تكون صورهم ومعانيهم هي نفسها، فلم يختلفوا في صفات الحصان الجيِّد، فإذا أرادوا أن يبرزوا ذلك شبّهوه بالنعامة والظليم، وشبّهوا مشيته بمشية الذئب، وفم الفرس عند أبي دؤاد كـالجـوالـق، وظهـره مسـد، والمتنـان كـالـزحلـوف أي الحجـر الأملـس والمنخـر مثـل وجـار الضبـع، وأرسـاغـه كـأعنـاق الضبـاع. وكذلك الإبل أتى جويرية بصفات لها معروفة عندهم جميعاً، فهي كـالقصـور الشـامخـات عـاليـة مشـرفـة كـالأكـام، وهـي كـأشجـار النخـل البـاسقـة، وهـي ملسـاء كبيـض النعـام. والظبـاء مُـرشقـات، والبقـرة الوحشيّة ابنة عم الظبية.

والشبـاب الكـرام الشجعـان أُسـود، ولكـنَّ الـدهـر يغلبهـم «فهـم في صدى المقابر هام».



الخاتمة

إنَّ الذين وصفوا الخيل في الجاهليّة والإسلام كثيرون، ولكن أولئك الذين أجادوا قلّة، وقد حاولت في ما قدَّمته في هذه الدراسة أن أتبيّن الخصائص المشتركة لكل من الشعراء الذين ترجمت لهم، ولم يكن وصف الخيل هو الغرض الأساس من وراء عملي هذا، بقدر ما كان التعرُّف إلى وُصّاف الخيل، من خلال أغراضهم المختلفة، في الوصف وغيره، ليكون ذلك مُرشداً ومعيناً في سبيل التعرُّف إلى العصر الجاهلي. وإنّي لأحسب أنَّ المجال ما زال واسعاً رحباً لمن أراد التوغُّل في هذا البحث، وخصوصاً في مجال الدراسات المقارنة، في العصور الأدبيّة المختلفة.

مختارات من شعر
سلامة بن جندل

أودى الشبـــابُ ، حَميـــداً، ذو التَّعـــاجيـــبِ
أودَى، وذلـــك شــــأوٌ غيـــر مطلـــوبِ[1]

ولّـــى حثيثـــاً، وهـــذا الشّيـــبُ يَطلبُـــه
لـــو كـــان يُـــدرِكُـــهُ رَكْـــضُ اليعـــاقيـــبِ[2]

أودَى الشبـــابُ الـــذي مَجْـــدٌ عـــواقبُـــهُ
فيـــه نَلَـــذُّ، ولا لَـــذّاتِ للشّيـــبِ

يـــومـــانِ: يـــومُ مَقـــامـــاتٍ وأنـــديـــةٍ
ويـــومُ سَيـــرٍ إلـــى الأعـــداءِ، تـــأويـــبِ[3]

وكَـــرُّنـــا خَيلَنـــا أدراجَهـــا رُجُعـــاً
كُـــسَّ السَّنـــابـــكُ، مـــن بَـــدءٍ وتعقيـــبِ[4]

---

(١) الشأو: السّبْق.

(٢) اليعاقيب: جمع اليعقوب وهو ذكر الحجل ولعله قصد العُقاب.

(٣) التأويب: الرجوع.

(٤) الأدراج: الطرق، رجع على أدراجه: رجع من حيث أتى. السنابك: جمع السنبك وهو الحافر. الكَسس في الأسنان: التّحاتُ والقِصَر، التعقيب: الرجوع.

والعـــاديـــاتُ، أســـابـــيُّ الـــدِّمـــاءِ بهـــا،
كـــأنَّ أعنـــاقهـــا أنصـــابُ تَـــرجيـــبِ[1]

مـــن كـــلِّ حَـــتٍّ إذا مـــا ابتـــلَّ مُلبَـــدُهُ
ضـــافـــي السَّبيـــب، أسيـــل الخـــدّ يعبـــوب[2]

ليـــسَ بـــأقنَـــى، ولا أسفَـــى، ولا سغِـــلِ
يُسقـــى دَواءَ قَفـــيِّ السَّكْـــنِ مَـــرْبـــوبِ[3]

[فـــي كـــلِّ قـــائمـــةٍ منـــه، إذا انْـــدَفَعَـــتْ
منـــهُ، أســـاوٍ كفَـــرغِ الـــدَّلـــوِ، أثعـــوبِ

كـــأنَّـــهُ يَـــرْفئـــيٌّ نـــامَ عـــن غَنَـــمٍ
مُستنفـــرٌ فـــي ســـوادِ الليـــل مـــذووبِ]

تَـــمَّ الـــدَّسيـــعُ إلـــى هـــادٍ لـــهُ بَتِـــعِ
فـــي جُـــؤجُـــؤٍ كَمَـــداكِ الطِّيـــبِ مَخضُـــوبِ

تظـــاهـــرَ النَّـــيُّ فيـــهِ، فهـــو مُحتَفِـــلٌ
يُعطـــي أســـاهـــيَّ، مـــن جَـــري وتَقـــريـــبِ[4]

يُحـــاضـــرُ الجُـــونَ مُخضـــرّاً جحـــافِلُهـــا
وَيَسبِـــقُ الألـــفَ عَفـــواً غَيـــرَ مَضـــروبِ[5]

كـــم مـــن فقيـــرٍ، بـــإذن الله، قـــد جَبَـــرَتْ
وَذي غِنـــىً بَـــوَّأتْـــهُ دارَ مَحـــروبِ

(١) العاديات: الخيل. الأسابي: طرائق الدم. الأنصاب: حجارة يذبحون عليها. الترجيب: تدعيم النخلة إذا مالت.

(٢) فرس حت: لا يُجارى. المُلبَد: موضع اللبد. السبيب: شعر الذنب أو الناصية. أسيل: طويل. يعبوب: كثير الجري.

(٣) أقنى: محدّد الأنف.

(٤) النيّ: الشحم. محتفِل: سريع. أساهي: ضروب من الجري.

(٥) يحاضر: يركض. الجون: الحمر.

مِمَّا يُقَدِّمُ في الهيجا، إذا كُرِهَتْ
عندَ الطِّعان، ويُنجي كُلّ مكروبِ
هَمَّتْ مَعَدُّ بنا هَمّاً، فنَهْنَهها
عنّا طِعانٌ، وضربٌ غيرُ تذبيبِ[1]
بالمشرَفيِّ، ومَصقولٍ أسنَّتُها
صُمّ العَوامِل، صَدْقاتِ الأنابيبِ[2]
يَجلو أسِنَّتها فتيانُ عادِيةٍ
لا مُقرِفينَ، ولا سُودٍ، جعابيبِ[3]
سَوَّى الثّقافُ قناها، فهْي مُحكَمَةٌ
قَليلةُ الزَّيغ، من سَنٍّ وتركيبِ[4]
كأنَّها، بأكُفِّ القوم إذ لحقوا
مَواتحُ البئرِ أو أشطانُ مَطلوبِ[5]
كِلا الفَريقَينِ: أعلاهُم وأسفَلُهمْ
شَجٍ بأرماحِنا غيرَ التّكاذيبِ
فإنّي وجدتُ بني سعدٍ يُفضّلهم
كلُّ شِهابٍ على الأعداء مصبوبِ
إلى تميم حماةِ الثّغرِ، نسبتُهُمْ
وكلُّ ذي حَسَبٍ في النّاسِ، منسوب

---

(١) همَّت معد بنا: أرادت بنا شرّاً. وأراد بمعد: قبائل مصر وربيعة. نهنه: منع.
(٢) المشرفي: السيف. العامل: الرمح. الأنابيب: القنا.
(٣) المقرف: أمه عربية وأبوه غير عربي. الجعابيب: الضعاف القِصار الأدنياء.
(٤) الثقاف: آلة يحدّ بها القنا. الزيغ: الميل.
(٥) المواتح: البكرات. الأشطان: جمع الشطن: الحبل. مطلوب: ماء.

قـــومٌ إذا صَـــرَّحَـــتْ كَحْـــلُ بيـــوتُهُـــمُ

عِـــزُّ الـــذَّليـــلِ، ومـــأوى كـــلِّ قُـــرضـــوبِ[1]

يُنحِيهـــم مـــن دَواهـــي الشّـــرِّ، إنْ أزَمَـــتْ

صبْـــرٌ عليهـــا وقِبْـــصٌ غيـــر محســـوبِ[2]

كنّـــا نَحُـــلُّ إذا هَبَّـــتْ شـــامِيَـــةً

بكـــلّ وادٍ، حَطيـــبِ البَطـــنِ مَجْـــدوبِ

شِيـــبِ المبـــارِكِ، مَـــدْروس مُـــدافِعُـــهُ

هـــابـــي المـــراغِ، قَليـــلِ الـــوَدْقِ مـــوظـــوبِ[3]

كُنّـــا إذا مـــا أتـــانـــا صـــارِخٌ فَـــزِعٌ

كـــان الصُّـــراخُ لـــهُ قَـــرعُ الظّنـــابِيـــبِ[4]

وشَـــدُّ كـــورٍ علـــى وَجنـــاءَ نـــاجيـــةٍ

وشَـــدُّ لِبْـــدٍ، علـــى جـــرداءَ سُـــرحـــوبِ[5]

يُقـــالُ: مَحبِسُهـــا أدنـــى لمـــرتعِهـــا

ولـــو تَعـــادَى بِبـــكْءٍ كُـــلُّ مَحلـــوبِ[6]

---

(١) الكَحْل: السنة الشديدة. القُرضوب: الفقير.

(٢) القِبص: العدد الكثير.

(٣) هابي المراغ: أراد متفخ التراب، لا يتمرَّغ فيه بعير.

(٤) الظنابيب: جمع الظنبوب: الساق.

(٥) الكور: الرحل. وأراد بالوجناء: الناقة الغليظة. السرحوب: الفرس الطويلة.

(٦) البكء: قلّة اللبن.

حتّـــى تُـــرِكْنـــا ومـــا تُثْنَـــى ظَعـــائِنُنـــا

يـــأخُـــذْن بيـــنَ ســـوادِ الخَـــطِّ فـــاللّـــوبِ[1]

هـاجَ المنـازِلُ رِحلـة المشتـاقِ   دِمَـنٌ وآيـاتٌ لبِثْـنَ بـواقـي

لَبِسَ الرواسُ والجديدُ بِلاهما   فتُركْنَ مِثل المُهرقِ الأخلاقِ[2]

للحارثيّةِ قَبلَ أن تنأى النّوى   بِهِـم وإذ هـيَ لا تُريدُ فِراقي

وفَجَـرُّ سـاريـةٍ تجـرُّ ذيـولَهـا   نَـوسَ النَّعـام تُناطُ بـالأعناقِ[3]

هَتَكَتْ على عَوْذِ النِّعاجِ بُيوتَها   فيَقعْـنَ للـرُّكْبـاتِ والأوراقِ

فتَرى مَـذانِـبَ كُلِّ مَـدفَعِ تَلْعةٍ   عَجِلَتْ سواقيها مِنَ الإتآقِ[4]

فكـأنَّ مَـدفَـع سَيـل كُـلِّ دَميثـةٍ   يُعلَى بذي هُدُبٍ من الأعلاق

مـــن نَســـجِ بُصـــرَى والمـــدائـــن، نُشِّـــرَت

للبيـــــع يـــــوم تَحَضُّـــــرِ الأســـــواقِ

فـوَقفَـتُ فيهـا نـاقَتي فتحَنَّنَتْ   لِهَوى الرَّواح تَتُوقُ كُلَّ مَتاقِ

حتـــى إذا هـــيَ لـــم تُبِـــنْ لمســـائـــلِ

وَسَعَـــتْ رِيـــاحُ الصَّيـــفِ بـــالأصيـــاقِ[5]

أَرسَلـــتُ هَـــوجـــاءَ النَّجـــاءِ كـــأنَّهـــا

إذْ هَـــمَّ أسفَـــلُ حَشْـــوِهـــا بِنِفـــاقِ[6]

---

(١) الخَط: موضع. اللوب: جمع اللابة: الأرض الحرَّة.

(٢) الروامس: الرياح التي تدفن وتغطي كل شيء. المهرق: الصحيفة.

(٣) السارية: السحابة الليلية.

(٤) المذانب: مجاري الماء. الإتآق: الامتلاء.

(٥) أصياق: جمع صِيق: غُبار.

(٦) هوجاء: أي الناقة التي فيها عجرفية لسرعتها. النجاء: السرعة. نَفاق: ذهاب.

مُتَخَّرِفٌ، سَلَبَ الربيعُ رِداءَهُ
صَخِبُ الظلام، يُجيبُ كُلَّ نُهاقِ[1]

مِن أخْدَرِيّاتِ الدِّنا التَفَعَتْ لَه
بُهمى النِّقاعِ وَلَجَّ في إحْناقِ[2]

صَخِبُ الشَوارِبِ والوَتين، كَأَنَّهُ مِمّا يُغَرِّدُ مَوهِناً بِخِناقِ
في عانَةٍ شُسُبٍ، أَشَدَّ جِحاشَها
شُزُبٍ، كَأقواسِ السَّراءِ، دِقاقِ[3]

وَكَأَنَّ ريقَتَها، إذا نبَّهْتَها كَأسٌ، يُصَفِّقُها لِشُرْبٍ ساقي
صِرْفٌ، تَرَى قَعرَ الإناءِ وَراءَها تُودي بِعَقلِ المَرءِ قبل فُواقِ
يَنسَى لِلَذّتِها أصالَةَ حِلمِه فيظلُّ بينَ النّومِ والإطْراقِ
فترى النّعاجَ بها، تَمشّى خِلْفَةً مَشْيَ العِبادِيّينَ في الأمواقِ[4]
يَسمُرْنَ وَحَفاً، فَوقَه ماءُ النّدى،
والنَّبْتَ، كُلَّ عَلاقَةٍ ونِطاقِ

ولقد هَبطتُ الغَيثَ، حَلَّ بهِ النّدى
يَرفُفْنَ فاضِلَهُ على الأشداقِ

أهدي به سَلَفاً يكونُ حَديثُهُم خَطَراً وذِكرَ تقامرٍ وسِباقِ
حتى إذا جاءَ المُثوِّبُ قد رأى أسداً وطال نَواجذُ المِفراقِ[5]

---

(١) متخرّق: أكل الخريف.

(٢) الأخدريات: الحمر المنسوبة إلى أخدر وهو فحل. البهمى: نبات. إحناق: ضمر.

(٣) العانة: الجماعة من حمر الوحش. شسب: جمع شاسب: ضامر.

(٤) العباديون: قوم من قبائل شتى من العرب. مواق: جمع موق: خفّ غليظ.

(٥) المثوِّب: الداعي إلى الحرب. المفراق: الجبان.

لَبِسوا من الماذِيِّ كُلَّ مُفاضةٍ كالنَّهي يوم رياحِهِ الرّقراقِ
مـن نَسـجِ داودٍ، وآلِ مُحَـرِّقٍ غـالٍ غـرائبُهُـنَّ فـي الآفـاقِ
ومنحتُهمُ نَفسي، وآمِنة الشّظى جَرداءَ ذاتَ كـريهةٍ ونِـزاقِ[1]
كـالصَّعْدةِ الجرداءِ آمَن خوفَها لَطَفُ الـدَّواءِ، وأكـرمُ الأعـراقِ

تَشـأى الجيـادُ فَيَعتَـرِفْـنَ لِشـأوِهـا
وإذا شـأَوا الحِقَـتْ بحُسْـنِ لِحَـاقِ[2]

وأصمَّ صَدقاً، من رِماحِ رُدَينةٍ بِيَدَيْ غُـلامِ كـريهةٍ مخـراقِ[3]

شـاكٍ، يَشُـدُّ علـى المُضـافِ ويَـدَّعـي
إذ لا تَـوافَـقُ شُعْبَتـا الإيفـاقِ

إنّي امرؤ من عُصبةٍ سَعدِيّةٍ ذَرِبَـى الأسِنّةِ كُـلَّ يـومِ تـلاقـي

لا يَنظُـرونَ إذا الكتيبـةُ أجحَمَـتْ
نَظَـرَ الجِمـالِ، كُـرِبْـنَ بـالأوسـاقِ[4]

يكفونَ غائبُهُم يُقضى أمرُهُم فـي غيرِ نقصٍ منهُمُ وشقـاقِ
والخيلُ تعلـم مـن يبل نحورَهـا بـدمٍ كمـاءِ العنـدمُ المهـراقِ

وقال سلامة:

لِمَـنْ طَلَـلٌ مثـلُ الكتـابِ المُنَمَّـقِ
خـلا عهـدُهُ بيـنَ الصُّلَيـبِ فَمُطـرِقِ[5]

---

(١) الشظى: عظم لاصق بالرسغ. النزاق: أول جريها.
(٢) تشأى: تسبق.
(٣) رُدينة: اسم امرأة تنسب إليها الرماح.
(٤) الأوساق: الأحمال.
(٥) الصُّليب ومطرَق: موضعان.

أَكَبَّ عليهِ كاتِبٌ بِدواتِهِ وحادِثُهُ في العَيْنِ جِدَّةُ مُهرَقِ
لأَسماءَ إذْ تهوى وِصالُك، إنّها
كذي جُدَّةٍ، من وَحشِ صاحةِ مُرشِقِ
لهُ بِقِرانِ الصُّلبِ بَقلٌ يَلُسُّهُ وإنْ يتقدَّم بالدَّكادِكِ يأنقِ[1]
وقفتُ بها ما إن تُبينُ لسائلٍ وهل تفقَهُ الصُّمُّ الخوالِدُ منطقي
فبِتُّ كأنّ الكأسَ طال اعتيادُها
عليَّ بصافٍ من رحيقٍ مُرَوَّقِ[2]
كريح ذكيِّ المسك باللّيلِ ريحُهُ
يُصَفَّقُ في إبريقِ جَعدٍ مُنطَّقِ
وماذا تُبَكّي من رُسومٍ مُحيلةٍ خلاءٍ كَسحَقِ اليُمنةِ المُتمزِّقِ[3]
أَلا هل أتَتْ أنباؤنا أهلُ مأربٍ
كما قد أَتَتْ أهلُ الدَّنا والخَورنَقِ[4]
بأنّا مَنَعْنا بالفَروقِ نِساءَنا ونحن قتلنا من أتانا بِمُلزَقِ
تُبَلِّغُهُم عِيسُ الرِّكابِ وشومُها
فَريقَي مَعَدٍّ: من تهام ومُعرِقِ[5]
ومَوقِفُنا في غيرِ دار تَئيَّةٍ ومَلحَقُنا بالعارضِ المُتألِّقِ

---

(١) الدكادك: الروابي اللينة. واللّسي: الأخذ باللسان.
(٢) الرحيق المروّق: الخمرة المصفاة.
(٣) اليُمنة: ضرب من بُرود اليمن.
(٤) مأرب: موضع باليمن. الخورنق: موضع بالكوفة.
(٥) العيس: الإبل البيض. والشوم: الإبل السود.

إذا مـــا عَلَـــونـــا ظهـــر نَشْـــزٍ، كَـــأنّمـــا
على الهـــام منّـــا قَيـــضُ بَيـــضٍ مُفَلَّـــقِ
مـــن الحُمْـــسِ، إذْ جـــاءوا إلينـــا بجمعهـــمْ
غـــداةَ لقينـــاهُـــمْ، بجـــأواءَ فَيلـــقِ[1]
كَـــأَنَّ النَّعـــامَ بـــاضَ فـــوق رؤوسِهـــمْ
بِنَهـــيِ القِـــذافِ أو بِنَهـــيِ مُخَفِّـــقِ
ضَمَمْنـــا عليهـــم حـــافَتيهِـــم بصـــادِقٍ
مِـــنَ الطَّعـــنِ، حتـــى أزمَعـــوا بِتَفَـــرُّقِ
كَـــأنّ مُنـــاخـــاً مـــن قُيـــونٍ، ومنـــزلاً
بحيـــث التقينـــا مـــن أكُـــفٍّ، وأســـؤقِ
كـــأنّهـــم كـــانـــوا ظِبـــاءً بِصَفصَـــفٍ
أفـــاءت عليهـــم غَبيـــةٌ، ذاتُ مَصـــدَقِ
كـــأنّ اختِـــلاءَ المَشـــرفـــيِّ رؤوسَهُـــمْ
هَـــوِيُّ جنـــوبٍ، فـــي يبيـــسٍ مُحـــرَّقِ
لَـــدُنْ غُـــدْوةً، حتّـــى أتـــى اللَّيـــلُ دونَهُـــمْ
ولـــم ينْـــجُ إلاّ كـــلُّ جـــرداءَ خَيفَـــقِ[2]
ومُستـــوعِـــبٍ فـــي الجَـــريِ فضـــلَ عِنـــانِـــهِ
كَمَـــرِّ الغـــزالِ الشّـــادِنِ المُتَطلِّـــقِ[3]

---

(١) الحُمس: أقوام من قريش وخزاعة وبني عامر وكنانة. جأواء: كتيبة في لونها سواد.

(٢) جرداء: خفيفة الشعر. خيفق: سريعة.

(٣) الشاذن: ولد الغزال. والمستوعِب: الذي استوفى جريهُ عنانَه.

فَـألقـوا لنـا أرسـانَ كـلّ نجيبـةٍ ... وسابغةٍ كأنّها مَتنُ خِرْنِق[1]

مُداخلةٍ من نَسجِ داود سكُّها ... كَحَبِّ الجَنَى من أبلَمِ مُتفَلِّقِ

فمن يكُ ذا ثوبٍ تنلْهُ رِماحُنا ... ومن يكُ عُرياناً يُوائلْ فيَسبقِ

ومَن يَدَعوا فينا يُعاشُ ببيُسةٍ ... ومن لا يُغالوا بالرّغائبِ نُعتِقِ

وأمُّ بَحيـــرٍ فـــي تَمـــارُسِ بَينِنـــا
متـــى تـــأتِهـــا الأنبـــاءُ تَخمِـــشْ وتَحلِـــقِ

تركنا بَحيراً حيثُ أَزحَفَ جَدُّهُ ... وفينا فِراس عانياً غير مُطلَقِ

ولولا سوادُ اللّيل ما آبَ عامرٌ ... إلى جعفرٍ سِربالُهُ لم يُخرَّقِ[2]

بضربٍ تظلّ الطير فيه جوانحاً ... وطَعنٍ كأفْواهِ المَزادِ المُفَتَّقِ

فعِـزَّتُنـا ليسـت بشعـبٍ بحَـرَّةٍ ... ولكنّهـا بَحـرٌ بصحـراءَ فيهَـقِ

يُقَمِّـــصُ بـــالبـــوصِـــيِّ فيـــه غـــواربٌ
مَتـــى مـــا يَخُضْهـــا مـــاهِـــر اللُّـــجِّ يغـــرَقِ[3]

ومجـدُ مَعَـدٍّ كـان فـوق عـلايـةٍ ... سَبقنا به إذ يـرتقونَ ونَـرتَقي

إذا الهُندُوانيّات كـنَّ عصِيَّنـا ... بهـا نتـآيـا كُـلَّ شـأنٍ ومَفـرِقِ[4]

نُجَلّي مِصاعاً بالسُّيوفِ وُجوهَنا ... إذا اعتَقَرَتْ أقدامنا عند مأزِقِ

فخـرتُـم علينـا إن قتلتـم فـوارِسـاً ... وقولُ فِراسٍ هاجَ فِعلي ومَنطقي

---

(١) النجيبة: الناقة السريعة. الخِرنق: ولد الأرنب.

(٢) السربال: القميص.

(٣) يقمِّص: يرفع ويخفض. البوصي: الزورق. ماهر: سابح.

(٤) الشأن: شَعبُ الرأس. نتآيا: نقصد.

عَجِلتُم علينا حِجَّتينِ عليكم وما يشأِ الرّحمٰنُ يَعقِدْ ويُطلِقِ

هو الكاسِرُ العَظمَ الأمينَ، وما يشأ
من الأمرِ، يجمع بينهُ، ويفرّق

هو المدخِلُ النُّعمانَ بيتاً، سماؤهُ
نُحورُ الفُيولِ، بعدَ بيتٍ مُسَردَقِ

وبعدَ مَصابِ المُزْنِ، كانَ يَسوسُهُ
ومالَ مَعَدٍّ، بعدَ مالِ مُحَرِّقِ

له فَخمةٌ ذفراءُ، تنفي عَدُوَّهُ
كَمَنكِبِ صاحٍ، من عَمايةَ مُشرِقِ[1]

وقال سلامة:

لو كنتُ أبكي لِلحمولِ لشاقني لِليلى. بأعلى الواديينِ، حُمولُ

يُطالِعنا من كلِّ خِدْجٍ مُخَدَّرٍ أوانسُ بِيضٌ، مثلُهنَّ قليلُ

يُشبِّهُها الرّائي مَهاً بصريمةٍ عَليهِنَّ فَينانُ الغُصونِ ظليلُ[2]

عَقيلتهُنَّ الهيجُمانةُ، عندها لنا - لو تُحَيَّا - نعمةٌ ومَقيلُ[3]

وفِتيانِ صدقٍ، قد بنيتُ علَيهُم خِباءً، بمَوماةِ الفلاةِ، يجولُ[4]

كما جالَ مُهرٌ في الرِّباطِ، يشوقُهُ
على الشّرفِ الأقصى المُحَلّ، خُيولُ

---

(١) فخمة: أراد الكتيبة الضخمة. الذفراء: ذات ريح سهلَة.

(٢) الفينان: المتهدّل من غصون الأشجار.

(٣) الهيجمانة: القيّمة على النساء.

(٤) مَوماة الفلاة: المفازة الواسعة لا ماء بها ولا أنيس. يجول: تهزّه الرياح.

تـــلاقَـــتْ بَنـــو كعـــبٍ وأفنـــاءُ مـــالِـــكٍ
بـــأمـــرٍ كصـــدرِ السيـــفِ وهْـــوَ جَليـــلُ

تـــرى كُـــلّ مَشْبـــوحِ الـــذراعيـــنِ ضَيْغَـــمٍ
يَخُـــبُّ بـــه عـــارِ شـــواهُ، عَســـولُ[1]

أغَـــرَّ مـــن الفتيـــانِ، يهتـــزُّ للنَّـــدى
كمـــا اهتـــزَّ عَضَـــبٌ بـــاليميـــن صقيـــلُ[2]

كـــأنّ المَـــذاكـــيْ، حيـــن جـــدَّ جميعنـــا
رَعيـــلُ وُعُـــولٍ، خلفهُـــنّ وُعـــولُ

عليهـــنَّ أولادُ المقـــاعِـــس قُـــرَّحـــاً
عَنـــاجيـــجُ، فـــي حُـــوٍّ لهـــنّ صَهيـــلُ[3]

كأنّ على فرسانها نَضْخَ عَنْدَمٍ
نجيعُ، ومسكٌ بالنُّحور يَسيلُ

إذا خـــرجَـــتْ مـــن غمـــرةِ المـــوتِ رَدّهـــا
إلـــى المـــوت، صَعـــبُ الحـــافتيـــن ظليـــلُ

فما تركوا في عامرٍ مِن مُنوَّهٍ
ولا نِسوةٍ، إلاّ لهنّ عويلُ

تـــركـــن بحيـــراً والـــذُّهـــابُ، عليهمـــا
مـــن الطيـــرِ غـــايـــاتٌ، لَهُـــنَّ حُجـــولُ[4]

وقال سلامة:

أمّـــا الخَلَـــى والمَســـحُ، إنْ كـــان مُنَّـــةً
علـــيَّ، فـــإنّـــي غيـــرُ خـــالٍ ومـــاسِـــحِ

---

(١) مشبوح: معرّض. الشوى: القوائم والأطراف.

(٢) العضب الصقيل: السيف القاطع.

(٣) العناجيج من الخيل: الطوال. حوّ: جمع حواء: في لونها سواد.

(٤) بحير والذُّهاب: رجلان.

وأمّا معاذيرُ الصديق فإنّني سأبلُغُها إنْ كنتَ لَستَ بفاصِحِ
وذي مِئرةٍ مِنَ الصديق اجتَنَبْتَهُ
وآخر قد جاملتُهُ، وهو كاشِحُ[1]
تَحَمَّلْتُه عَمداً، لأُفضلَ، بعدما بَدَتْ أُبْنٌ في ساقِه وقوادِحُ
ومُهتزِعٍ حالاً ولُؤمَ خليقَةٍ صَقَعتُ بِسُرٍّ، والأكُفُّ لَواقِحُ

وقال سلامة:

تقولُ ابنتي إنّ انطلاقكَ واحداً إلى الرّوعِ، يوماً تاركي لا أباليا
دعينا من الإشفاق، أو قدمي لنا
مِنَ الحَدَثانِ والمنيّةِ راقيا
ستتلف نَفسي، أو سأجمَعُ هَجمةً
ترى ساقِيَيها يألمان التّراقيا

وقال:

سأجزيك بالقِدِّ الذي قد فككته
سأجزيكَ ما أبليتَنا العام، صعصعا
فإن يكُ محمودٌ أباكَ فإنّنا
وجدناك مَنسوباً إلى الخيرِ، أروَعا
سأهدي، وإن كنّا بتثليثُ، مدحةً
إليك، وإنْ حلّتْ بيوتُكَ لعلعا[2]
فإن شئتَ أهدَينا ثناءً ومِدحةً وإن شئت عَدَّينا لكم مئةً مَعا[3]

---

(١) المئرة: العداوة. الكاشح: الحاسد.
(٢) تثليث ولعلع: موضعان.
(٣) عدّينا: صرفنا لكم.

قال سلامة:

مَـنْ مُبْلِـغٌ عنّـا كـلابـاً وكعبهـا ... وحَـيَّ نُمَيْـرٍ، بـاليقيـنِ رَسـولُ

فـإنّـي، بِيـومٍ مِثـلِ يَـومٍ بِمُلـزَقٍ ... لكم، ولِقاءٍ ـ إنْ حييتُ ـ كفيلُ

غـداةَ تَـرَكْنـا مـن ربيعـةِ عـامـرٍ ... دِمـاءً، بـأعلَى الـواديَيـنِ، تَسيلُ

ومن الأشعار المنسوبة إلى سلامة قوله مفتخراً:

ومـن كـانَ لا تُعتـدُّ أيّـامُـهُ لـهُ ... فـأيّـامنـا عَنّـا تُجلِّـي، وتعـرِبُ

ألا، هـل أتـى أفنـاءَ خِنـدِفَ كُلّهـا ... وعَيـلانُ، إذ ضَـمَّ الخميسيـنِ يَتـرَبُ[1]

جعلنـا لهـم ما بينَ كُتلةَ رَوحـةً ... إلى حيثُ أوفى صُوَّتيهِ مُثقَّبُ

غـداة تـركنـا فـي الغُبـارِ ابـنَ جَحـدَرٍ ... صَـريعـاً، وأطـرافُ العَـوالـي تصَبّـبُ

وأفلَـتَ منّـا الحـوفـزانُ وكـأنّـه ... بـرَهـوةَ قَـرْنٌ، أفلـت الخيـلُ، أعضـبُ

غداة رَغامٍ، حينَ يَنجو بطعنةٍ ... سَؤوقِ المنايا، قد تُزِلُّ وتُعطِبُ

لقوا مثلَ مَا لاَقى اللُّجَيْمِيُّ قبلهُ ... قتـادةُ، لمّـا جاءنـا وَهُوَ يَطلُبُ

فـآبَ إلـى حَجْـرٍ، وقـد فـضَّ جمعُـهُ ... بـأخبَـثِ مـا يـأتـي بـه مُتـأوِّبُ

وقـد نـال حـدُّ السيـفِ مـن حُـرٍّ وجهـه ... إلـى حيـث سـاوَى أنفَـهُ المُتنَقَّـبُ

---

(١) يترب: موضع. خنلف: اسم امرأة واسمها الحقيقي ليلى. أفناء: فروع.

وَجَشّـامـةُ الـذّهلِـيُّ قـد وَسَجَـتْ بـه
إلـى أهلنـا مخـزومـةٌ، وَهُـوَ مُخْقَـبُ[1]
تعَـرَّفُـهُ وسْـطَ البيـوت مُكبّـلاً
رَبـائـبُ، مـن أحسـابِ شيبـان تثقـبُ
وهَـوذةَ نجَّـى، بعـدمـا مـال رأسـهُ
يمـانٍ، إذا مـا خـالـط العظـم، مِخْـذَبُ
فـأَمسكـهُ، مـن بعـدِ مـا مـال رأسـهُ،
حـزامٌ علـى ظَبـرِ الأغـرّ، وقيقـبُ
غـداةَ كـأنّ ابنـيَ لُجَيـم ويَشكـراً
نَعـامٌ، بصحـراءِ الكُـدَيـدَيـنِ، هُـرَّبُ

وممّا ينسب إلى سلامة:

كـانـت لنـا مـرَّةٌ داراً، فغَيَّـرهـا
مُـرّ الـريـاحِ بسـافـي التُّـربِ، مَجلُـوبِ
هـل فـي سـؤالِـكَ عـن أسمـاءَ مـن حـوبِ
وفـي التـلام، وإهـداءِ المنـاسيـبِ[2]
ليسـت مـن الـذُّلِّ أردافـاً إذا انصـرفَـتْ
ولا القِصـارِ، ولا السُّـودِ العنـاكيـبِ[3]

---

(١) جشّامة الذهلي: فارس من بني ذهل أسر يوم جدود.
(٢) المناسيب: جمع المنسوب وأراد الشعر فيه نسيب.
(٣) العناكيب: جمع العنكب: المرأة القصيرة الضعيفة.

إنّــي رأيــتُ ابنــةَ السَّعــدِيّ حيــن رأتْ
شيبــي، ومــا خــلَّ مــن جسمــي وتَحنيبــي[1]
تقــول، حيــن رأت رأســي ولِمَّتُــهُ
شَمطــاءُ، وبعــد بهيــم اللّــونِ، غِــربيــبِ[2]
وللشبــابِ، إذا دامَــتْ بشــاشتُــهُ
وُدُّ القلــوبِ، مــن البيــضِ الــرَّعــابيــبِ[3]
إنّــا، إذا غَــرَبَــتْ شمْــسٌ أوِ ارتَفَعــتْ
وفــي مبــارِكهــا بُــزْلُ المصــاعيــبِ
قــد يسعــدُ الجــارُ، والضَّيــفُ الغــريــبُ بنــا
والسّــائلــون ونَغلــي مَيسَــرِ النّيــبِ
وعنــدَنــا قَينــةٌ بَيضــاءُ، نــاعمــةٌ
مثْــلُ المهــاةِ مــن الحُــورِ الخــراعيــبِ[4]
تجــري السِّــواكَ علــى غُــرٍّ مُفلجــةٍ
لــم يَغــذُهــا دَنَــسٌ تحــت الجــلاَبيــب
دَعْ ذا وقــل لبنــي سَعــدٍ بفضلِهــم
مــدحــاً يَسيــرُ بــه غــادي الأَراكيــبِ[5]

---

(١) التنحيب: الاعوجاج في قوائم الفرس. رَجلٌ محنّب: مُنحنٍ.

(٢) الغربيب: الشديد السواد. وبهيم اللون: لون لم يختلط به شيّة.

(٣) الرعابيب: جمع الرعبوبة: الجارية الحسناء الرطبة الحلوة.

(٤) القينة: المغنية. الحور: جمع الحورية. الخراعيب: جمع الخرعوب: المرأة المتنعمة.

(٥) الأراكيب: جمع الأركوب وهو الأكثر عدداً من الركب.

سُقْنا ربيعة نَحْو الشّام كارِهةً
سَوقَ البِكارِ، على رَغمٍ، وتأنيبِ
إذا أرادوا نُزولاً حَثَّ سَيَرهُمُ
دون النُّزولِ، جِلادٌ غيرُ تَذبيبِ[1]
والحيُّ قحطانُ، قِدماً ما يزالُ لها
منّا وقائعُ من قتلٍ وتعذيبِ
لمّا التقى مَشهَدٌ منّا ومَشهدُهُمْ يومُ العُذَيبِ وفي أيام تحريب
لمّا رأوا أنّها نارٌ، يُضَرِّمُها
من ال سَعدِ بَنوا البيضِ المناجيبِ[2]
ولّى أبو كربٍ منّا بمهجته وصاحباه على قُودٍ سراحيبِ[3]

---

(١) التذبيب: الدفع والذود.
(٢) المناجيب: جمع المنجاب: ذو أولاد كرام.
(٣) سراحيب: جمع سرحوب: صفة الفرس الذي يسرح بيديه أثناء العدْو.



مختارات من شعر
طفيل الغنوي

ومما قاله طفيل في الخيل:

يُذدن ذياد الخامسات وقد بدا
ثرى الماء من أعطافها المتحلّبِ[(١)]

وقال:

كأنّ يبيس الماء فوق متونها أشاريرُ ملحٍ في مباءةِ مُجرِبِ[(٢)]

وقال:

كأنَّ على أعرافِه ولجامِه سَنا ضرمٍ من عرفجٍ يتلهّبُ[(٣)]

وقال:

شميطُ الذنابي جُوِّفت وهي جَوْنةٌ
بنُقبةِ ديباجٍ ورَيْطٍ مُقطعِ[(٤)]

---

(١) المعاني الكبير: ٧.

(٢) المعاني الكبير: ١٠.

(٣) المعاني الكبير: ١٧. السنا: الضوء.

(٤) المعاني الكبير: ٢. الشمط: الخلط. جَونة: سوداء.

وقال:

وكُنّا إذا اغتفَتِ الخيلُ غُفّةً تجرّدَ طلّابُ التِّراتِ مُطلَّبُ[1]

وقال:

كأنَّ على أعطافه ثوبَ مائحٍ
وإن يُلْقَ كلبٌ بين لحيَيْهِ يذهبِ[2]

وقال في الفرس:

على كلِّ مَنشَقٍ نساها طمرة ومُنجردٍ كأنّه تيس حُلَّبِ[3]

قال طفيل الغنوي في الفرس أيضاً:

كأنّه بعدما صدّرن من عرقٍ سيد تمطر جنحَ الليلِ مبلولِ[4]

---

(١) الأمالي: ٢/ ٣٤. اغتفت الخيل: أصابت شيئاً من الربيع.

(٢) الأمالي: ٢/ ٣٥. الأعطاف: الجوانب. المائح: الذي ينزل البئر فتبتلّ ثيابه.

(٣) منشق نساها: أراد موضع نساها. والنسا: عرق في الفخذ، المعاني الكبير: ١٥٢.

(٤) المعاني الكبير: ٣٤. أراد بالعرق سطور الخيل، وكل شيء من الدواب والطير يصطففن مثل السطر. عرقة والجمع عرق. وقوله صدرن، أراد سبقن سطر الخيل بصدورهنّ فكأنّه ذهب قد ابتلّ من المطر فهو يبادر إلى الغار. والتمطر: العدو، السِّيد: الذئب.
ومثل ذلك قول الجعدي:
وعاديةٌ سوم الجراد وزعتُها فكلفتها سِيِّداً أزلَّ مَصدَّراً
والعادية: الحاملة، وأراد الفرس. سوم الجراد أراد أنها تنتشر كما ينتشر الجراد.

وقال طفيل:

وفينا رباط الخيل كل مطهّم
رجيلٍ كسرحان الغضا المتأوّبِ[1]

وقال[2] يشبّه الفرس بالكلب:

تصانعُ أيديها الرَسيحَ كأنّها كلابٌ يطأن في هراسٍ مُقنّبِ
تباري مراخيها الزِجاج كأنَّها ضرا أحسّت نبأة مِنَّ مُكلّبِ

وقال[3]:

إذا هبطتُ سهلاً حسبتُ غبارَها بجانبه الأقصى دواخن تَنضُبِ

وقال[4]:

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب

قال[5] طُفيل الغنوي:

كذبَ العتيقُ وماء شن بارد إنْ كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي

---

(١) المعاني الكبير: ٣٦.
ومثله قول طرفة:
وكرِّي إذا نادى المضاف محنباً كسِيْدِ الغضا نبّهتُه المتوردِ
(٢) المعاني الكبير: ٤٦.
(٣) المعاني الكبير: ٦٣. والدواخن: جمع الدخان، ولا يقاس عليه. تنضب: ضرب من الشجر.
(٤) المعاني الكبير: ٨٥.
(٥) المعاني الكبير: ٩٠. ويخاطب امرأته ويطلب منها أن تأخذ التمر والماء البارد، وتترك اللبن للفرس. الغَبوق: شراب المساء. ابن النعامة: كنّى بذلك عن فرسه.

إنَّ الرجال لهم إليك وسيلة | إن يأخذوك تكحَّلي وتخضّبي
ويكون مركبُك القعود ورحله | وابن النعامةِ يوم ذلك مركبي

وقال[1]:

نزائع مقذوفاً على سرواتِها | بما لم تخالسها الغُزاة وتُسهبُ

وقال[2]:

طوالُ الهوادي والمتونُ صليبةٌ | مغاوير فيها للأريب معقّب

وقال[3]:

فألوثْ بغاياهم بنا وتباشرت
إلى عُرض جيشٍ غير أن لم يكتَّبِ

وقال[4]:

أناسٌ إذا ما أنكر الكلبُ أهلَه
حَمَوا جارَهم من كلِّ شنعاء مُضلع

وقال[5]:

إذا ما غدا لم يُسقطِ الروّعُ رُمحَه
ولم يشهدِ الهيجا بألوثَ مُعصِمِ

---

(١) المعاني الكبير: ٩٩. النزائع: جمع النزيع: الغريب في القبيلة. المسهب: المهمل. سراة كل شيء: أعلاه.
(٢) الأمالي: ٣/ ٥٤.
(٣) الأمالي: ٢/ ٢٧٥. يكتَّب: يُجمّع. البغايا: الفاجرات من الإماء.
(٤) الأمالي: ١/ ٥٥.
(٥) الأمالي: ١/ ١٧٣. ألوث: ضعيف.

وقال[1]:

كـريحـةُ حُـرٍّ الـوجـه لـم تـدعُ هـالكـاً
مِـن القـوم هُلكـاً فـي غـدٍ غيـرَ مُعقـبِ

وقال[2]:

عناجيجُ من آل الوجيه ولاحقٍ مغـاويـر فيهـا لـلأريـبِ مُعقَّـبِ

وقال[3]:

يُرادي على فأس اللجام كأنَّما يُـرادي بـه مِرقـاةُ جِـذعٍ مُشَـذَّبِ

قال[4] طفيل في الترس:

فلمّـا فنـا مـا فـي الكنـائـن ضـاربـوا
إلـى القـرع مـن جلـد الهجـانِ المجـوّبِ

وقال[5] يصف جيشاً:

بيـتٌ كعقـان الشُّـريف رجـالُـه إذا كـانـوا وإحـداثُ أمـرٍ مُعطّـفِ

وقال[6] في الجوار والحلف:

---

(١) الأمالي: ١/ ١٨٥.
(٢) الأمالي: ١/ ١٨٥.
(٣) الأمالي: ١/ ٢٣٦.
(٤) المعاني الكبير: ١١٠٦. القرع: الترس.
(٥) المعاني الكبير: ٩٦٣.
(٦) المعاني الكبير: ١١٢٤، يعني: إذا جاور لم يكن ينازل غير الأشراف.

وكنــــتُ إذا أعلقـــتُ مكّنـــتُ فـــي الـــذرى
يـــــديَّ فــــلا يلقـــي بجنبـــي مُصـــــرعُ

قال[1] طفيل:

ظَعائن أبرقن الخريف وشِمنَهُ وخِفنَ الهُمام أنْ تُقادَ قنابلُهْ
علـــى إثـــرِ حـــيٍّ لا يـــرى النجـــم طـــالعـــاً
مـــن الليـــل إلاّ وهـــو قفـــرٌ منـــازلَـــه

وقال[2]:

فلو كنتَ سيفاً كان أثْرُك جُعرةً وكنتَ دَدَاناً لا يغيّرك الصَّقْلُ

وقال[3]:

قبائلُ من فَرعَي غِنى تواهقَتْ بها الخيلُ لا عُزلٌ ولا مُتأشِّبُ

وقال[4]:

فنحن منعنا يوم حَرْسٍ نساءكم غداةَ دعانا عامرٌ غير معتلي

وقال[5]:

---

(١) الأمالي: ٢/ ٣٨. أبرقن الخريف: أراد رأين برق الخريف. شِمنه: أبصرنه. خِفن الهمام: أراد أنهن خفن الغارة عليهن حين دخلت شهور الحل. والقنابل: جمع القنبلة: جماعة الخيل.

(٢) الأمالي: ٢/ ٤١. والجعرة: أثر الجعار وهو حبل يُوثق به في حقو الساقي إلى عمود القامة، فإن انقطع الرشاء لم يهو الماتح في البئر. والمراد تشبيهه بسيف لا يقطع ولا يفعل إلاّ كفعل ذلك الحبل. الددان والكهام: الكليل.

(٣) الأمالي: ٥/ ٦٥. المواهقة: المباراة في السير.

(٤) الأمالي: ٢/ ٧٨.

(٥) الأمالي: ٢/ ٨١. وأراد بالأصفر: القدح. وأراد بمشهوم الفؤاد أنه مذعور. ومتقوِّب: مُتقشِّر.

وأصفرَ مشهومِ الفؤادِ كأنَّه غداةَ الندى بالزعفران مُطيَّبُ
تفلتُ عليه تفلةً ومسحتُه بثوبي حتى جلدُه مُتقوِّبُ
يُراقبُ إيحاءَ الرقيبِ كأنَّه لما وتروني أوَل اليومِ مُغضبُ

قال[1] طفيل:

إني وإنْ قلّ مالي لا يفارقني مثلُ النعامة في أوصالها طولُ
أو قارحٌ في الغُرابيات ذو نسَبٍ
وفي الجِراءِ مِسَحٌ الشدِّ إجفيلُ[2]
إنّ النساءَ كأشجارٍ نبتن مَعاً
منها المُرارُ وبعضُ النَّبتِ مأكولُ
إنّ النِّساء متى يُنهين عن خُلُقٍ فإنَّه واجبٌ لا بُدَّ مَفعولُ
لا ينصرفن لرُشدٍ إنْ دُعين له وهُنَّ بعدُ ملائيمٌ مَخاذيلُ[3]

وقال[4]:

بخيلٍ إذا قيل اركبوا لم يُقل لهم
عواويرُ يخشون الروّى: أنَّى نركبُ
ولكن يجابُ المستغيثُ وخيلُهم
عليها حُماةٌ بالمنيّةِ تضرِبُ

وقال[5]:

---

(١) الشعر والشعراء: ٢٩٥.

(٢) القارح: الفرس الذي تمّت أسنانه. الغرابيات: الخيل المنسوبة إلى الغراب وهو جواد. المسحّ: السريع. الإجفيل: النفور.

(٣) ملائيم مخاذيل: لئام جبناء.

(٤) الشعر والشعراء: ٢٩٥.

(٥) الشعر والشعراء: ٢٩٥.

بحيٍّ إذا قيل اظعنوا قد أُتيتُم   أقاموا فلم تُردَدْ عليهم حمائِلُ

قال[1] طفيل الغنوي في صفة الكلب:

أنــــاسٌ إذا مــــا الكلـــب أنكـــر أهلـــه
حمُـــوا جـــارهـــم عـــن كـــل شنعـــاءِ مضلـــعِ

قال في العقاب:

تبيـــت كعقبـــانِ الشُّـــريـــف رجـــالـــه
إذا مـــا نـــووا إحـــداث أمـــرٍ معطّـــبِ[2]

قال في النسر:

كســـاهـــا رطيـــبُ الـــريـــشِ مـــن كـــلِّ نـــاهـــضٍ
إلـــى وكـــره وكـــل جـــونٍ مقشَّـــبِ[3]

قال في النعام:

كسيـــد الغضـــا الغـــادي أضـــلَّ جـــراءه
علـــى شـــرف مستقبـــل الـــريـــح يلحـــبُ[4]

وقال يذكر إبلاً:

---

(١) المعاني الكبير: ٢٣١.

(٢) المعاني الكبير: ٢٧٧. وأراد أن الرجال تبيت معدة للعدو كما تبيت هذه العقبان معطب مهلك.

(٣) المقشّب: ما جعل له القشب في الجيف ليصاد. ناهض: حديث السن. الجون: الأسود. المعاني الكبير: ٢٨٥.

(٤) المعاني الكبير: ٣٥٠.

عوازب لم تسمع نبوح مقامةٍ ولم ترَ ناراً تم حول مجرّم[1]
سوى نار بيضٍ أو غزالٍ بقفرةٍ أغن من الخنس المناخر توأم

قال في العداوة والبغضاء:

فــذوقــوا كمــا ذُقنــا غــداة محجــرٍ
مــن الغيــظ فــي أكبــادنــا والتحــوّب[2]

وقال في الحرب:

وراكضــةٌ مــا تستجــنُّ بجنَّــةٍ بعير حِلال غادرتْه مجعفَلِ[3]
فقلتُ لها لما رأيْنا الذي بها من الشرِّ لا تستوهلي وتأمّلي

قال[4] طفيل الغنوي:

فــذوقــوا كمــا ذُقنــا غَــداة محجَّــرٍ
مــن الغيــظ فــي أكبــادنــا والتحــوّبِ[5]
فبــالقتــلِ قتــلٌ والســوام بمثلــه
وبــالشــلّ شــلُّ الغــائــطِ المتصــوّبِ[6]

---

(1) المعاني الكبير: ٣٦١، العوازب: أراد النوق التي تبيت في القفر. النبوح: جلبة الحي وأصواتهم. تم: تمام. مجرّم: ماضٍ مقطوع، أي لا ترى ناراً في القفر ولا تسمع جلبة، سوى نار بيض النعام توقد له وغزال يُصاد.
(2) التجوّب: التوجع.
(3) المعاني الكبير: ٨٨٩. الحلال: المركب من مراكب النساء. مجعفل: مصروع.
(4) الأغاني: ١٥/ ٣٥٣.
(5) محجّر: موضع. التحوب: التوجع.
(6) الشل: الطرد. الغائط: الذاهب. المتصوّب. المنحدر.

تــــرى العيـــــن مـــــا تهـــوى وفيهـــا زيـــادةٌ

مـــــن اليمـــــن إذ تبـــدو وملهـــيً لملعـــبِ

وبيت تهبُّ الريح في حجراته بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يُحجّبِ(١)

سمـاوتُـه أسمـالُ بُـردٍ محبَّرٍ وصهوتُه مِن أتحميٍّ معصَّبِ(٢)

وأطنـــابـــه أرســـان جُـــردٍ كـــأنَّهـــا

صـــدور القنـــا مـــن بـــادىءٍ ومعقَّـــبِ(٣)

نصبـــتُ علـــى قـــومٍ تُـــدرُّ رمـــاحهـــم

عـــروقَ الأعـــادي مـــن غـــريـــرٍ وأشيَـــبِ(٤)

وقال :

تـأوّبَني هـمٌّ مـن الليلُ منصِبُ وجاء من الأخبار ما لا أكذِّبُ

تتـابعن حتَّـى لـم تكـن لـي ريبةٌ ولـم يـك عمّـا خبّروا مُتعَقَّـبُ

وكـان هُـريمُ مـن سنـان خليفـةً وحصنٍ ومن أسماء لمّا تغيّبوا

ومـن قيـس الثـاوي بـرَمّـانَ بيتُـه ويوم حقيلٍ فاد آخرُ مُعجبُ(٥)

أشـمُّ طـويـلُ السـاعـديـن كـأنّـه فنيقُ هِجانٍ في يديه مُركّبُ(٦)

---

(١) الحجرات: جمع الحَجرة: الناحية.

(٢) سماوته: أعلاه. المعصَّب: ضرب من بُرود اليمن.

(٣) البادىء: الذي غزا أول غزوة. المعقّب: الذي غزا غزوة بعد غزوة. الجرد: الخيول الجرداء.

(٤) الغرير: الشاب الذي لا تجربة له.

(٥) قيس: قيس الندامى الذي قتلته طيئ. الثاوي: المقيم: حقيل: موضع بنجد. فاد: مات.

(٦) الفنيق: الفحل الكريم.

وبـــالشّهـــبِ ميمـــونُ النقيبـــة قـــولَـــه
لملتمـــس المعـــروفِ أهـــلٌ ومـــرحَـــبُ

كـــواكـــبُ دَجـــنٍ كلَّمـــا انَقـــضّ كـــوكـــبٌ
بـــدا وانجَلـــت عنـــه الـــدُّجُنَّـــةُ كـــوكَـــبُ

لعمـــري لقـــد خلّـــى ابـــن جنـــدع ثلمـــةً
ومـــن أيـــن إنْ لـــم يـــرأب الله تُـــرأبُ

نـــدامـــاي أمسَـــوا قـــد تخلّيـــتُ عنهـــم
فكيـــف ألـــذُّ الخمـــرَ أم كيـــف أشـــربُ

مضَـــوا سلفـــاً قصْـــدَ السبيـــل عليهـــم
وصـــرفُ المنـــايـــا بـــالـــرِّجـــالِ تقلّـــبُ



مختارات من شعر
أبي دؤاد الإيادي

قال[1] أبو دؤاد الإيادي:

منـــع النـــومَ مـــاوي التهمـــامُ ... وجـديرٌ بـالهـمّ مَـن لا ينـامُ[2]

مَـن ينَـمْ ليلـه فقـد أُعمِـلُ الليْـ ... ـل وذو البثّ ساهرٌ مُستهامُ[3]

هـل تـرى مـن ظعـائـنٍ بـاكـراتٍ ... كـالعَـدَوْلـيّ سيـرُهُـنّ انقحـامُ[4]

واكناتٍ يقضَمنَ من قُضُبِ الضّرْ ... مِ ويُشفـى بَـدلّهـنّ الهُيـامُ[5]

وسبتنـي بنـاتُ نخلـةَ لـو كُنْـ ... ـتُ قـريبـاً ألَـمَّ بـي إلمـامُ[6]

يكتبين اليَنجُوجَ في كبّة المشْـ ... ـتى وبُلْـهٌ أحـلامُهُـنّ وِسـامُ[7]

---

(١) الأصمعيات: ١٨٥.

(٢) ماوي: المراد: يا ماوية. التهمام: الهم.

(٣) البث: الحزن.

(٤) الظعائن: الإبل عليها هوادج النساء.

(٥) العَدَوْلي: السفين المنسوب إلى عدولى وهي موضع بالبحرين.

(٦) نخلة: موضع.

(٧) يكتبين: يتبخرن بالكباء، الينجوج: عود البخور. وسام: جمع وسيمة: الحسناء.

وَيَصُنَّ الوُجوهَ في المَيْسَنا
ـيِّ كما صانَ قرنَ شمسٍ غَمامُ[1]

وتراهُنَّ في الهوادج كالغِزلان ما إن ينالُهُنَّ السِّهامُ
نخلاتٌ من نخلِ بَيْسانِ أينعْـ ـنَ جميعاً ونبتُهنَّ تُؤامُ[2]
وتدلّتْ على مناهِلِ بُرْدٍ وفُليجٌ من دونِها وسَنامُ [3]
وأتاني تقحيمُ كعبٍ لي المنْـ ـطقَ إنّ النكيثةَ الإقحامُ [4]
في نظامٍ ما كنتُ فيه فلا يخْـ ـزُنْكَ شيءٌ لكلِّ حسناءَ ذَامُ[5]
ولقد رابَني ابنُ عمِّي كعبٌ أنّه قد يرومُ ما لا يُرامُ
غيرَ ذنبِ بني كِنانةَ إنّي إنْ أفارقْ فإنَّني مجذامُ[6]
لا أعدّ الإقتار عُدماً، ولكنْ فقْدُ مَن قد رزئته الإعدامُ[7]

من رجالٍ من الأقارب فادوا
من حُذاقٍ هم الرؤوس العظامُ[8]

فهم للملائمين أناةٌ وعُرامٌ إذا يُراد العُرامُ[9]

---

(١) الميسناني: ضرب من الثياب المنسوبة إلى ميسان.
(٢) بيسان: موضع بالأردن.
(٣) برد، فليج، وسنام مواضع.
(٤) التقحيم: الدخول في الأمر فجأة.
(٥) النظام: الطريقة. ذام: عيب.
(٦) مجذام: قاطع.
(٧) الإقتار: قلّة الماء. الرزء: المصيبة.
(٨) فادوا: ماتوا. حُذاق: قبيلة من إياد.
(٩) الملائمون: الموافقون. أناة: تأنٍّ ورفق. العُرام: الشّدة والقوة.

وسَمَـاحٌ لـدى السنيـن إذا مـا قَحَط القطرُ واستقلّ الرِّهامُ[1]
ورِجـالٌ أبـوهـم وأبـي عمـرو وكعـبٌ بيضُ الـوجوه جِسامُ
وشبـابٌ كـأنَّهـم أسْـدُ غيـلٍ خالطتْ فرط حدِّهم أحلامُ[2]
وكهـولٌ بنـى لهـم أوّلُـوهُـم مـأثُـراتٍ يهـابُهـا الأقـوامُ
سُلِّـط الـدهـرُ والمنـون عَليهـم فلهم في صدى المقابر هامُ[3]
وكـذاكـم مصيـر كـلِّ أُنـاسٍ سـوفَ حقـاً تُبليهُـم الأيّـامُ
فعلـى إثـرِهـمْ تَسـاقـطُ نفسـي حَسَـراتٍ وذكـرهـم لـي سَقَـامُ
إبلـي الإبـلُ لا يحـوِّزُهـا الـرَّا عون مجُّ الندى عليها المدامُ[4]
وتدلَّتْ بها المغارضُ فوق الـ أرضِ مـا إنْ تقلُّهـن العِظـامُ[5]
سمِنتْ فاستحشّ أكرعُها لا الـ ـنَّـيُّ نَـيٌّ ولا السنـامُ السنـامُ[6]
فـإذا أقبلـتْ تقـولُ إكـامٌ مُشـرفـاتٌ فـوقَ الإكـام إكـامُ
وإذا أعـرضَـتْ تقـولُ قُصـورٌ مـن سمـاهيـجَ فـوقَهـا آطَـامُ[7]

---

(١) استقل: ارتحل. الرهام: المطر الضعيف، وهو جمع والواحدة رِهمة.
(٢) الغيل: الشجر الكثيف الملتف.
(٣) الهام: جمع الهامة: الرأس، وعلى زعم الجاهليين هو طير يخرج من رأس الميت، يصيح ما لم يؤخذ بثأره إذا كان قتيلاً.
(٤) لا يحوّزها: لا يجمعها. وأراد بمجّ الندى: ماء الندى.
(٥) المغارض: جمع المغرض: جانب البطن أسفل الأضلاع. والغرض: حزام الرجل.
(٦) استحش: استدق. النيّ: الشحم.
(٧) سماهيج: جزيرة في الخليج العربي. الآطام: جمع الأُطم: الحصن المبني من الحجارة.

وإذا مــــــا فجئتَهــــا بطـــــنَ غيـــبٍ
قُلـــتَ نخـــلٌ قـــد حـــانَ منهـــا صِـــرامُ[1]

وهـــي كـــالبيـــضِ فـــي الأداحـــيِّ مـــا يـــو
هَـــبُ منهـــا لمستتَـــمٌّ عِصـــامُ[2]

غيرَ ما طيّرتْ بأوبارها الفقْـ ـرَةُ في حيثُ يستهلُّ الغمامُ
فهـي تُبيـنُ مِـن سَلَـفٍ أرْ عَـنَ طَـوْدٍ لسربـه قُـدّامُ[3]

مُكفهـــــرٌّ علـــــى حــــواجبـــه يَغْـ
ـــرقُ فـــي جمعـــه الخميـــسُ اللهـــامُ[4]

فـارسٌ طـاردٌ ومُلتقـطٌ بيْـ ـضاً وخيلٌ تعدو وأخرى صيامُ
قد بَراهُـنَّ غِرّة الصيدِ والأغْـ ـداءُ حتّى كـأنّهـنّ جِـلامُ[5]
قد تصعلكنَ في الربيعِ وقد قر رَعَ جِلـدَ الفـرائـضِ الأقـدامُ
جاذياتٌ على السنابكِ قد أفْـ ـزَعَهنَّ الإسراجَ والإلجامُ[6]
لجِـبٌ تُسمـعُ الصـواهـلُ فيـه وحنيـنُ اللقـاحِ والإرزامُ[7]
بعُـرَى دُونَهـا وتُقـرَنُ بـالقَيْـ ـظِ وقد دلّهَ الرِّباعَ البُغامُ[8]

---

(١) الغَيب: ما اطمأن من الأرض.
(٢) الأداحي: جمع الأدحي: الموضع الذي تبيض فيه النعامة.
(٣) السلف: السابق المتقدِّم، وأراد الجبل. أرعن: ذو رعن أي أنف. والطود: الجبل.
(٤) الخميس: الجيش. اللهام: الجيش الكثير.
(٥) جلام: جمع جلم: جدي.
(٦) جاذيات: ثابتات.
(٧) إزام: صوت تخرجه الناقة من حلقها لا تفتح به فاها.
(٨) دلها: أذهب فؤادها. البغام: أن تقطع الناقة الحنين ولا تمده.

قال[1] أبو دؤاد يصف فرساً:

ودارٍ يقــول لهــا الــرائــدو	نَ ويلُ أمِّ دارِ الحذاقيِّ دارا[2]
فلمّــا وضعنــا بهــا بيتنــا	نتجنا حُواراً وصدنا حِمارا[3]
وبــاتَ الظليــمُ مكــانَ المجـ	ـنِّ تسمعُ بالليلِ منه عِرارا[4]
وراح علينــا رِعــاءٌ لنــا	فقالوا: رأينا بهجَلٍ صِوارا[5]
فبتنــا عُــراةً لــدى مُهــرنــا	نُنَــزِّعُ مــن شفتيــه الصُّفــارا[6]
وبتنــا نغــرِّثُــه بــاللجــام	نــريــد بــه قنصــاً أو غِــوارا
فلمّــا أضــاءت لنــا سُــدفــةٌ	ولاح من الصبح خيطٌ أنارا[7]
غــدونــا بــه كســوارِ الهلــو	كِ مُضطمراً حالبَاه اضطمارا[8]
مَــرُوحــاً يجــاذبنــا فــي القيــاد	تخال من القَوْدِ فيه اقورارا[9]
ضَرُوحَ الحماتينِ سامى التليلِ	وَثُوباً إذا ما انتحاه الخبارا[10]
فلمّــا عــلا متنتيــه الغــلامُ	وسكّــنَ مــن آلــه أن يُطــارا

---

(١) الأصمعيات: ١٩٠.

(٢) الحذاقي: يعني نفسه.

(٣) الحوار: ولد الناقة إلى حين يُفطم.

(٤) الظليم: ذكر النعام، العرار: صوت الظليم.

(٥) الصُّوار: القطيع من البقر.

(٦) الصفار: نبت له شوك.

(٧) السُّدفة: الضوء، وهي الظلمة أيضاً، وأراد الضوء.

(٨) الهلوك: المرأة المتهالكة على الرجال. مضطمر: ضامر.

(٩) مروح: من المرح: النشاط.

(١٠) الضروح: الفرس النبوح برجله. الحماتان: لحمتان في عرض الساق الخبار: ما لان من الأرض.

وســــرِّح كـــــالأجــــــدلِ الفــــارســ
ـــيِّ فـــي إثــــرِ ســــربِ أجــدَّ النفــــارا[1]

فصـــــادَ لنــــا أكَـــــل المقلتــ ـيـنِ فحلاً وأخـرى مهـاةً نَـوارا
وعــادى ثــلاثــاً فخــرًّ السَّنــا نُ إمّـا نصـولاً وإمّـا انكسـارا[2]
أكــلَّ امــرىءٍ تحسبيــنَ امــرأً ونــارٍ تــوقَّــدُ بــالليــلِ نــارا

وقال[3] أبو دؤاد:

وقُصــــرى شنـــجِ الانســـــاء نبّــــاحٌ مـــــن الشُّعْـــــبِ

وقال[4] أيضاً:

يعلـو بفـارسـه منـه إلـى سنـدِ عـالٍ وفيـهِ إذا مـا جـدّ تصـويبُ

وقال[5]:

ومتنــــــان خظــــــاتــــــان كــــزحلــوفٍ مـــن الهضْـــبِ

وقال[6]:

أيّـد القُصـرييـن مـا قيـد يـومـاً فيعنّــــى لصـــرعـــه بيطــــارُ

وقال[7]:

---

(١) الأجدل: الصقر.
(٢) عادى: والى.
(٣) القصرى: الضلع الأخرى التي تلي الكشح، الشُّعب: جمع الأشعب: الظبي.
(٤) المعاني الكبير: ١٤٥.
(٥) المعاني الكبير: ١٤٥. الزحلوف: الحجر الأملس. وأراد أنه كثير اللحم.
(٦) المعاني الكبير: ١٥٥. أراد أنه لم يقد يوماً إلى بيطار ليصرعه ويعالجه.
(٧) المعاني الكبير: ١٨٥.

لهـــا ســـاقـــا ظليـــم خـــا ضِـــبٍ فـــوجـــىء بـــالـــرُّعـــبِ

وقال[1]:

بيـــن النعـــام وبيـــن الخيـــل خلقتُـــه

خـــاظـــي البضيـــعِ أجـــشّ الصـــوتِ يعبـــوبُ

وقال[2]:

شـــرجَـــبٌ سلهـــبٌ كـــأنَّ رمـــاحـــاً حملَتْـــه وفـــي السَّـــراة دُمـــوجُ

وقال[3]:

كـــأنَّ هـــاديهـــا إذ قـــام ملجِمُهـــا قعو على بكرةٍ زوراء منصوبُ

قال[4] أبو دؤاد الإيادي في وصف الخيل:

وقـد اغتـدي فـي بيـاض الصبـا حِ وأعجـازِ ليـلٍ مـوليٍّ الـذنـبْ

بطـرفٍ ينـازعنـي مـرسنـا سَلوفِ المقـادةِ محضِ النّسبْ

إذا قيّـدَ قحّـم مَـنْ قـاده وولـى عـلابيّـه واجلعـب

وقال[5]:

يحمـــلُ منـــه بعضـــهُ بعضَـــه فـــراكـــبٌ منـــه ومـــركـــوبُ

---

(١) المعاني الكبير: ١٥٩. وأراد أن فيه من خلقة النعامة قصر ساقيها وإشراف قطاتها ومشيها في بعض أحوالها وعدوها.

(٢) المعاني الكبير: ١٥٩. الشرجب: الطويل العاري أعالي العظام. السلهب: الطويل القوائم.

(٣) المعاني الكبير: ١٦٠.

(٤) الزهرة: ٢/ ٧١٤.

(٥) ديوان المعاني: ٢/ ١٠٦.

وقال أيضاً في الفرس:

فقلتُ لهم: جلّلوه الثياب ... وشدُّوا الحِزام وأرخوا اللببْ
وضُمّوا جناحيه أن يُستطار ... فقد كان يأخذ حسنَ الأدبْ

وقال[1] فيه:

يهزّ العنقَ الأجرد ... في مُستأمَنِ الشَّعبِ
مع الحارِك مخشوش ... بجنبٍ مجفرٍ رحْبِ [2]

وقال[3] في منخر الفرس:

ولها منخرٌ كمثلِ وجارِ الضبعِ ... تَذرى له العجاجَ السمومُ

---

(١) المعاني الكبير: ٥٦.

(٢) المعاني الكبير: ١٣٠ . الأجرد: الأملس قصير الشعر. الشعب: الوصل المركّب في الحارك.

(٣) المعاني الكبير: ١٢٠.

ثبت المصادر والمراجع

الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.

الأمالي: أبو علي القالي، دار الآفاق الجديدة بيروت.

الأصمعيات: الأصمعي، عبد الملك بن قُريب، دار المعارف.

تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، دار المعارف، طـ ٢.

تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، طـ ٧.

ديوان الأعشى: مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة.

ديوان امرىء القيس: دار صادر، بيروت.

ديوان سلامة بن جندل: دار الكتب العلمية.

ديوان طرفة بن العبد: دار صادر، بيروت.

ديوان لبيد بن ربيعة: دار صادر، بيروت.

ديوان النابغة الجعدي: المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١/ ١٩٦٤.

الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢/ ١٩٨٥.

الشعر الجاهلي: يحيى الجبوري، الرسالة، بيروت، ط ٥/١٩٨٦.

طبقات فحول الشعراء: ابن سلام، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢/ ١٩٨٨
المعلقات السبع.
المفضليات: المفضّل الضبي، تحقيق شاكر هارون، بيروت، ط ٦.
كتاب المعاني الكبير: ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/ ١٩٨٤.

الفهـرس

لا شكّ أنّ القارىء العربيّ بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الاطّلاع على تراثه الفكريّ العظيم المتمثّل بالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغيرِ ذلك من ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة لا يكادُ يُتاحُ إلاّ لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميِّزة والبصائر المتوقِّدة، كان لا بدَّ لنا من تقديم هذا التراث بشكلٍ مختصرٍ وجامعٍ في الوقت نفسهِ، بحيث يوافق هذا الإطارُ المقْتَرَحُ أكثريةَ القرّاء العرب، وخاصة طلابَ المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلةُ عن أعلام الأدب من نثر وشعر، تولّى كتابتها مجموعةٌ من الاختصاصيين الذين تَحَرّوا فيها السلاسةَ في الأسلوب والعمقَ في التحليل والاختصارَ في المعلومات، بما يحقّق الهدفَ المنشودَ من إصدارها.

كما نشير إلى أننا ـ بالإضافة إلى هذه السلسلة التي بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء ـ أصدرنا، وسنصدر تباعاً إن شاء الله مجموعاتٍ أخرى عن أعلام الفكر العربي والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله من وراء القصد.

وكيل عام في جمهورية مصر العربية